
اجاتا كريستي
العميل
السري
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

العميل السري

أجاثا كريستي

العميل السري

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

العميل السري

الفصل الاول

نحن في ربيع عام ١٩٤٠ .

رفعت مسز برسفورد وجهها إلى زوجها حين دخل الغرفة وقالت :

– لست أدري سبباً يا عزيزي تومي يجعلك متجهم الوجه علىهذه الصورة، ماذا هناك ؟

– لم أجد عملاً حتى الآن ، سواء في الجيش او البحرية او الطيران او حتى وزارة الخارجية ، ان الجميع يجيبون على سؤالي بنفس الإجابة : « فيما بعد .. قد نحتـــاج اليك .. » حتى اصبحت لا أطيق سماع تلك الاجابات .. رجل في السادسة والأربعين .. يعامل كأنما لا قدرة له على العمل !.. هذا أمر لا يطاق .

– انها نفس المسألة بالنسبة إلي ، انهم لا يريدون ممرضات في مثل سني ، انهم يأخذون فتيات لم يرين جرحاً في حياتهن ، لقد نسوا انني عملت ممرضة من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩١٨ وانني عملت أيضاً في قيادة السيارات .

– يعزيني ان ابنتنا « ديبورا » قد وجدت عملاً فيها . وكذلك ولدنا « ديريك » ولو ان المساعدة المالية التي يمدني بها تحز في نفسي وتشعرني انني أصبحت ذلك الرجل المسن !. هل اصبحنا لا فائدة ترجى منا ؟.. اني أفكر

احياناً ان القطار قد فاتنا .

فظهرت أمارات الغضب على وجه توبنس ، وتركت كرة الصوف تتدحرج من حجرها ثم قالت :

— هل فاتنا القطار حقيقة رباه !.

— ربما ، ولكن يعزيني اننا كنا موضع اهتمام الجميع في وقت من الأوقات، فقد اختطفني الألمان كما تذكرين ، واحتالت على النجاة بمعجزة ، كما تتبعت آثار ذلك المجرم الخطير حتى قبض عليه ، وتلك الفتاة التي أنقذنا حياتها ، وأوراق المعاهدة السرية الهامة ، لقد شكرتنا الأمة والدولة حينذاك .

— والآن أصبح مستر ومسز برسفورد لا يحتاج أحد إلى مجهوداتهما .

— لا فائدة من هذا الحزن يا عزيزتي ، انه يؤذيك .

— لقد أخلف مستر كارتر ظننا فيه .

— لا تنسي انه كتب لنا خطاباً في غاية الرقة .

— لم يكن فيه ما يبعث على الأمل .

— لست أظن انه يستطيع شيئاً في هذه الأيام ، ثم انه يقيم في اسكتلندا الآن ليسلي نفسه بصيد السمك !. لقد اصبح هو الآخر مسناً .

— ربما يحتاجون الينا في عمل بادارة الاستعلامات ؟

— لا أظن ، فان أعصابنا لم تعد تحتمل

ورن جرس باب الشقة ، فقامت توبنس وفتحت الباب ، وقال القادم :

— مسز برسفورد ؟

— نعم ..

— انني جرانت ، أحد اصدقاء لورد ايسامتون ، وقد طلب مني زيارتكما انت وزوجك ..

— أوه .. تفضل بالدخول .

وسارت أمامه إلى حجرة الجلوس .. ثم قالت :

- هذا زوجي ، وهذا مستر غرانت انه صديق مستر كارتر ، أعني لورد ايسامتون .

وكان اسم مستر « كارتر » رئيس إدارة الاستعلامات السابق أسهل نطقاً من لقبه الجديد « لورد ايسامتون » وبعد أن تبادل الجميع التحيات ، قدمت توبنس كؤوس النبيذ للرجلين ، وكان مستر غرانت رجلاً لطيف الحديث .. قال بعد فترة :

- سمعت يا برسفورد أنك تبحث عن عمل ؟

- نعم .. هل تعني ؟

- لا .. فان الأعمال يحسن أن تترك للشباب ، أو على الأقل لأولئك الذين تمرسوا فيها عدة سنوات دون انقطاع ، إنما كل ما أعرضه عليك الآن .. هو عمل في أحد المكاتب ، تحريم أوراق وحفظها في ملفاتها ، وما شابه ذلك ..

- أوه ..

- انه شيء أحسن من لا شيء على كل حال .. ومع ذلك أرجو أن تزورني في مكتبي بالغرفة رقم ٢٢ بوزارة المهمات الحربية ، وهناك نستطيع أن نتفاهم !

ورن التليفون ، فأسرعت توبنس ورفعت السماعة !

- هالو ، نعم ، ماذا ؟

وسمع من الطرف الآخر صوت يتكلم في جزع ولهفة .. وتغير وجه توبنس .

- متى ؟ أواه .. عزيزتي طبعاً . اني سأحضر اليك حالاً ..

ووضعت السماعة ثم قالت لزوجها :

- تومي .. إنها مورين !

- لقد خمنت ذلك ، فقد عرفت صوتها ..

- آسفة ، يا مستر غرانت ، انها صديقتي التوت قدمها ، وليس معها

من يعنى بها ، ويجب ان أذهب اليها ..أرجو ان تلتمس لي العذر في الانسحاب
– طبعاً مسز برسفورد .. انني أقدر ذلك ..
فابتسمت له مسلمة ، وتناولت معطفها وخرجت من الحجرة ، وسمع الرجلان باب الغرفة يوصد بعنف ، وصب تومي قدحاً من النبيذ لضيفه فتناول وبعد لحظة قال :
– هل تعلم ان خروج زوجتك المفاجيء قد خدمنا ، فانه سيوفر الوقت
– لقد اقترح ايسامتون اسمك .. وقال لنا انك الوحيد الذي يصلح لتلك المهمة .
– أية مهمة .
– طبعاً .. انت تفهم ان ما سأقوله لك سري جـــداً ، حتى زوجتك يجب ألا تعلم عنه أي شيء ..
– لا بأس ما دمتم تريدون ذلك ، ولكن لقد اشتركت مع زوجتي دائ
– اني أعلم ذلك ولكن هذه المهمة بالذات ، لك وحدك .
– وهو كذلك ..
– وكما سبق ان قلت لك .. ستزعم أمام الجميع انك كلفت بعمل كتابي في جهة ما باسكتلندا ، جهة محظور عليك ذكر اسمها ، ولا يمكن أن ترافقك زوجتك اليها ولكنك في الواقع ستذهب الى مكان آخر . لا شك انك قرأت في الصحف عن الطابور الخامس ، وتدرك طبعاً ماذا يعني هذا التعبير
– العدو الذي بيننا .
– بالضبط ، وأحب بهذه المناسبة – ان أقول لك يا برسفورد ، ان هذه الحرب بدأت وحالة الشعب النفسية متأثرة بنوع من التفاؤل المصطنع ، وانا لا أقصد طبعاً اولئك الذين يدركون الأمور على حقيقتها مثلنا . فإننا نفهم بلا شك ما وراءنا وما أمامنا كقدرة العدو العامة وقواته الجوية وتصميمه على القتال ، والرابطة الجبارة بين كل عناصر قواته الحربية ، ولكني اعني بالشعب

رجل الشارع ، الذي تأثر بما سمع او بما يريد ان يسمع من ان المانيـا سوف تتصدع عما قريب .. وأنها على أبواب الثورة ، وان عدتها الحربية قد صنعت من القصدير ، وان جنودها يتساقطون من فرط الجوع ، إلى غير ذلك ، بينما الواقع يجري على العكس تماماً !

– هذا ما يدركه كل عاقل !

– بالضبط ولا تنس اننا بدأنا في اوائل الحرب بلا نظام يلم شعثنا ، وكانت استعداداتنا في غـــاية النقص ، ولعل ذلك يرجع إلى اننا لم نكن نرغب في الحرب ، فلم ننظر إلى شتى الاحتمالات بشكل جـــدي ولم نحسن الاستعداد لمجابهتها ، وإن كنا ، بعد مرور اكثر من سنة قد صححنا هذه الأوضاع إلى حد كبير ، ووضعنا كلاً في مكانه الذي يناسبه ، واصبحنا نوجه الدقة كما يجب أن توجه ويمكننا ان نكسب الحرب وهذا لا شك فيه – إذا لم نرتكب الخطأ الأول .. ونحن لا ننظر إلى الخسارة كنتيجة لأعمال العدو الظاهرة ، كقوة قاذفات القنابل ، ولا في تسلط المانيا الشامل على البلاد التي تستغلها لمصالحهـا الاقتصادية واستعمال الالمان تلك البلاد كمراكز للقفز علينا .. لا هذا ولا ذاك ولكن الخطر الذي نخشاه يأتي من الداخل ، من قصة طروادة .. والحصان الخشبي الذي ادخل الى اسوارها . وتستطيع ان تسميه الطابور الخامس إذا اردت ، وهو يتألف من نساء ومن رجال يشغل بعضهم مراكز عاليـــة ، والبعض الآخر مراكز من كل لون . ولكنهم جميعاً يؤمنون بالعقيدة النازية ، ويعملون جاهدين على احلالها محل وسائلنا البسيطة في الحياة الديمقراطيـة .. وأهم من هذا كله ، اننا لا نعرف من هم هؤلاء ..

-- ولكن بكل تأكيد ..

– نستطيع ان نصل إلى العصافير الصغيرة ، فهذا من السهولة بمكان ، ولكن العقبان والنسور ، هي التي تهمنا ، فهناك اثنان على الأقل يشغلان وظائف كبرى في البحرية ، وا كاد اؤكد بأن احدهما يعمل في مكتب الجنرال

ج .. كما نعلم أن ثلاثة أو أكثر في أهم مراكز سلاح الطيران ، وان اثنين على الأقل ، في إدارة المخابرات ، يطلعـان باستمرار على قرارات مجلس الوزراء السرية ، إننا نعلم كل هذا لأن الطريقـة التي تتسرب بها أخبارنا إلى العـدو تدل عليه .

- ولكن ، إنني لا أعرف أحداً من هؤلاء .

- بالضبط .. كما أن أحداً منهم لا يعرفك ، وهذا هو ما يهمنا . فهؤلاء القوم ، ذوي المراكز العالية ، يعرفون رجالنا جميعاً ، وقد أرهقتنا محاولات كشفهم أو حتى تضليلهم ، حتى وصلنا إلى حالة من اليأس لا نحسد عليهـا . فذهبنا الى ايسامبتون نستشيره ، ورغم أنه لا يعتـبر من رجالنا نظراً لمرضه . ولكنه يعتبر ألمع ذهن عرفناه ، ففكر فيك .. وقال ان عشرين سنة قد مضت منذ تركت العمل في الادارة، وانقطعت صلتك بها كما أن شبهك لا يعرفه أحد .. فما رأيك ؟

- أقبل !. طبعاً . ولكن ، ولكن لا أدري كيف يمكن لي أن أفيدكم

- يا عزيزي برسفورد . ان تفكير الهواة وتصرفاتهم هو مـا نريد .. فالأمور تتعقد بالنسبة إلى المحترف . ثم لا يخفى عليك انك ستحل محـل أقدر رجالنا .

- ماذا ؟.

- نعم .. فقد توفي « فاركوهار » المسكين في مستشفى بريـدجت يوم الثلاثاء الماضي ، بصدمة لوري ، وعاش بضع ساعات بعد الصدمة ، وقد يخيل للعابر انها حادثة طريق ، ولكنها ليست كذلك .

- أمتأكد أنت ؟

- طبعاً .. وهذا ما يجعلنا نعتقد انه كان وراء أثر هام ، وقد بقي فاقد الوعي بعد الصدمة ، وقبل الوفـاة بلحظات حاول أن يقول شيئـاً .

وكان كل ما سمعناه منه هذه العبـــارة : « ن .. أو .. م .. سونج سوزي »

– لا أعتقد أن في هذ ما ينير السبيل !.

– قد يكون فيه أكثر مما تظن ، فان « ن أو م » هو رمز سمعناه قبل تلك اللحظة ، وهو ينبيء عن إثنين من أهم وكلاء الألمان .. وقد عرفنا بعض الشيء عن نشاطهما في البلاد الأخرى ، وليس لدينا عنهما معلومات كثيرة .. ولكننا نعلم أن مهمتهما هي الاشراف على تكوين الطوابير الخامسة في البـلاد المختلفة ، وهما يقومان بمهمة ضابط الاتصال بين ألمانيا وبين الطابور الخامس في أي بلد من البلاد المختلفة ، وأغلب الظن أن « ن » رجل ، وأن « م » سيدة ، وأنهما أعظم من وثق بهم هتلر بين مبعوثيه . وقد استطعنا الحصول في مستهل الحرب ، على صورة برقية أرسلت من برخستجادن ، جـــاء فيها : « أرى تعيين « ن » أو « م » لانجلترا ، على أن يمنحا كل السلطات .. »

– وماذا عن فاركوهار ؟

– أظن أنه تتبع أثر أحدهما أو كليهما ، ولم نعلم أيهما لسوء الحظ ، أما عن كلمة « سونج سوزي » فأظن أنها محرفة ، نظراً لما نعلمه من عدم تمكن فاركوهار من اللغة الفرنسية ، وقد وجدنا في أحد جيوبه تذكرة عودة إلى مقاطعة (ليهامتن) على الساحل الجنوبي ، وفي تلك المنطقة كثير من البنسيونات والاستراحات والفنادق الخاصة ، وبعد التحري وجدنا أن أحد هذه يسمى سان سوسي .

– هكذا ، سونج سوزي .. سان سوسي . فهمت ، وعلي أن أذهب الى هناك وأرى ماذا أستطيع أن أعمل .

– تماماً .

– ولكن المسألة فيما أرى غير واضحة المعالم . فاني لا أكاد أعلم ما الذي

أبحث عنه ؟

– وأنا شخصياً لا أعلمه . وعليك أن تجده ، وعسى أن يساعدك الحظ . .

– حدثني عن ذلك المكان ، أعني سان سوسي .

– ربما كان كوخاً .. وربما كان شيئاً آخر .. ولعل فاركوهار كان يفكر في أمر أبعد عن كل ما نفكر فيه إن المسألة لا تعدو أن تكون تخميناً مجرداً !

– وماذا عن ليهامتن نفسها ؟

– إنها كأي من مثيلاتها ، مجموعات من الأكواخ ، والعشش ، والفيلات ، والمنازل الصغيرة ، تقيم فيها سيدات مسنات ، وضباط متقاعدون ، وعوانس طاهرات ، ورواد غامضون ، وربما بعض الجواسيس ، وبعض الأجانب ، انها تبدو كحقيبة الطباخ !

– و « ن » أو « م » بين كل هؤلاء ؟

– ليس ذلك مما يمكن الجزم به ، فربما وجدت أحد أعوانها ، ولكني أرجح أن يكون « ن أو م » هناك ، فالمكان لا يرقى اليه الشك ، بيت منعزل في بقعة ساحلية ،

– اليس لديك فكرة ، عما إذا كان الشخص الذي سأبحث عنه رجلاً أو امرأة ؟

– لا ، وأتمنى لك حظاً سعيداً يا برسفورد ، والآن إلى التفاصيل .

* * *

عادت توبنس بعد نصف ساعة فوجدت زوجها وحيداً يصفر لحنـــاً وقد

بدت عليه أمارات الشك ، فقال لها :

— حسناً ، لقد حصلت على عمل مكتبي ، في اسكتلندا ، حفظ مستندات وما شابه ذلك ، إنه لا يبدو عملاً مثيراً

— لكلينا ، أم لك وحدك ؟

— أخشى ان يكون لي وحدي .

— اللعنة ! كيف يعاملنا مستر كارتر بهذه الوسائل الـ ..

— إن اختلاط الجنسين غير مسموح به في مثل هذه الأعمال يا توبنس ، والا صعب على الموظفين تركيز تفكيرهم في العمل .

— يظهر إنه عمل من تلك التي ترهق الأعصاب .. كذلك التي تقوم بـه ديبورا ابنتي . وإني أرجو ألا ترهق نفسك يا تومي بقدر الامكان ، فتحطم أعصابك .

— لست من هؤلاء كما تعلمين ..

— أرجو ذلك .. ولو أنني أعتقد انك عرضة لما أقول .. هلا يمكن أن آتي معك ؟ لا كزميلة في العمل ، وإنما .. كزوجة فقط ، تعد لك طعام العشاء . و ..

— اني آسف ، وكم يؤلمني أن أتركك يا عزيزتي ، على أي حال تستطيعين أن تشغلي نفسك بالـ .. تريكو .

— التريكو ، التريكو .

وقذفت بالكرة الصوفية والابر إلى الأرض ، ثم استطردت :

— إني أكره الصوف ، الكاكي والأزرق ، وكل الألوان التي ترتدونها في هذه الحرب .

وبعد قليل ، عادت توبنس إلى حالتها العادية ، وقالت انها تستطيع أن تجد عملاً باحدى جماعات الاسعاف .

وبعد ثلاثة أيام رحل تومي الى « أبردين » ، وودعته زوجته توبنس على

المحطة متجلدة ، صابرة ، ولكنه أحس ، بعد أن تحرك القطار ، وتضاءل الرقيق ، انه افتقدها . غير أنه تمالك نفسه ، فالأوامر هي الأوامر ..

وبعد وصوله إلى اسكتلندا ، سافر في اليوم التالي الى مانشستر ، وفي اليوم الثالث وصل به القطار الى ليهامتن .

فتوجه فوراً إلى الفندق الرئيس .. وفي اليوم التالي طاف بجميع الاستراحات والفنادق الخاصة ، يسأل عن غرفة خالية ، وعن أسعار الاقامة لمدة طويلة ، وكانت « سان سوسي » عبارة عن فيلا حمراء على الطراز الفيكتوري ، أقيمت على سفح أحد التلال ، وتطل نوافذها العليا على منظر البحر الجميل ، ورغم أن أثاثها كان جميلاً ، إلا أنه كان قديماً ..

وقابل تومي صاحبتها مسز « برينا » ، وهي سيدة في منتصف العمر ، تعلو رأسها هالة مخيفة من الشعر الأسود المجعد ، وقد لوثت وجهها ببعض المساحيق ، وبدت أسنانها البيضاء اللامعة مرعبة ، خلال ابتسامتها المصطنعة ..

وفي حديثه معها ذكر اسم مس ميدوز ، ابنة عمه الكبرى التي أقامت في سان سوسي منذ سنتين . وتذكرت مسز برينا ابنة العم هذه ، وتحدثت عن ظرفها .. فأجابها تومي في حرص على تعليقاتها عن قريبته المزعومة ، رغم أنه كان يعلم أن إدارة المخابرات كانت على ثقة من المعلومات التي زودته بها عن مس ميدوز ..

ولما سئل عن أحوال قريبته ، أجاب انها توفيت ، فأظهرت مسز برينا أسفها وألمها .. ثم عرضت على تومي غرفة قالت انها تناسبه كل المناسبة ، فهي تطل على منظر البحر اللطيف ، وحددت لها أجراً أسبوعياً نظير الإقامة والأكل ، فأظهر تومي فزعه من ارتفاع السعر ، ولكنها شرحت له أسباب ذلك ، فأجابها أن دخله قد نقص كثيراً عن ذي قبل . ثم تطرق الحديث عن ذلك الرجل هتلر ، فقال تومي :

- إنه يجب شنق ذلك الانسان .. إنه رجل مجنون .. نعم مجنون ولا شك .

فوافقته مسز برينا على رأيه ، وقالت انها تجد مصاعب جمة في الحصول على مواد التموين من لحم وخبز وغيرهما ، وان مأكولات كثيرة إختفت من الأسواق .. وأن . وأن .. ولكن ما دام مستر ميدوز ابن عم صديقتها المرحومة ، فانها ستنقص المبلغ نصف جنيه ، فطلب تومي إمهاله يوماً يفكر فيما إذا كان دخله يحتمل هذا المبلغ . فرافقته مسز برينا حتى الباب الخارجي ، وشيعته بكل ما تستطيع من تحيات ومجاملات .

وساءل تومي نفسه ، ماذا تكون جنسية تلك السيدة . انها لا يمكن أن تكون إنجليزية . فالاسم إما أن يكون اسبانياً أو برتغالياً . ولكن .. إن احدى هاتين هي جنسية الزوج . أما هي . فربما تكون ايرلندية . وأخيراً ، صمم على أن ينتقل في اليوم التالي - باعتباره مستر ميدوز - إلى سان سوسي ..

وفي الساعة السادسة من مساء اليوم التالي ، وصل الى فيللا سان سوسي فقابلته مسز برينا في البهو الخارجي بالترحاب ، ثم أصدرت عدة أوامر تتعلق بحقائبه ، إلى خادمة تظهر عليها أمارات الغباء ثم قادته إلى غرفة الجلوس العامة وهي تقول :

- إنني أقوم بتقديم نزلائي بعضهم لبعض . هذا هو مستر ميدوز نزيلنا الجديد ، مسز أوروك ، ماجور بلتشلي ، مستر فون دينيم ، مس منتون ، مسز بلنكنسوب

وكان تومي ينحني في أدب عند تقديم كل من الحاضرين اليه ، ورأى في مسز أوروك سيدة بدينة قد خط شاربها بشكل مثير للضحك ، أما الماجور بلتشلي فقد فحص تومي بنظره كأنما يثمن الضيف الجديد ، ثم أحنى رأسه له . وكان مستر فون دينيم شاباً صلب العود ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ،

وقف على قدميه ثم انحنى كأنما يؤدي التحية العسكرية ، أما مس منتون فكانت سيدة مسنة تعبث بابر التريكو ، وقد ابتسمت وهمهمت ببعض الفاظ التحية ، وكانت مسز بلنكسوب تشغل يديها بادوات التريكو هي الأخرى ، وما أن رفعت رأسها لتحية القـادم ، حتى توقف تنفس تومي .. ودارت به الغرفة ..

كانت مسز بلنكسوب هي توبنس .. زوجته . إن هذا مستحيـل ولا يمكن تصديقه .. ولكنها قابلته بعينين فيهما الأدب .. والتحفظ المتبادل بين الأغراب ، وهزت رأسها .

الفصل الثاني

لم يدر تومي كيف قضى ليلته الأولى في ســـان سومي ، إذ كان من الصعب عليه أن يوجه نظراته ناحية مسز بلنكنسوب ، وظهر في ساعة الغداء – في اليوم التالي – ثلاثة آخرون من الفيلا ، هم مستر ومسز كايلي ، وسيدة شابة تدعى مسز سبرون ، إصطحبت طفلتها الصغيرة معها .. وكان يبدو عليها دائماً ، عدم رضاها عن إقامتها الإجبارية مع تلك الطفلة في سان سومي ، وتصادف أن جلست على المائدة الكبرى إلى جوار تومي ؛ وأخذت ترمقه بعينيها من وقت إلى آخر .. ثم قالت مستفسرة :

ـ ألا تظن أن الحالة أصبحت أكثر أمناً في هذين اليومين ؟

وقبل أن يجيب تومي ، ردت السيدة التي تجلس إلى يساره :

ـ لا أعتقد .. وقد سمعت أن هتـلر ، ينوي الهجوم على بريطانيـا ، في الأيام القليـلة القادمة ، كما سمعت أن الهجـوم سيكون بغـاز من نوع جديد ..

فقاطعها الماجور بلتشلي قائلاً :

ـ ما أكثر الهراء الذي يتحدثون به عن الغازات .. إنهم لن يضيعـوا وقتهم ليهاجموا بالغازات ، إنما الهجوم سيكون بالقنـابل المدمرة والحارقة ، فقد جربوها في اسبانيا ..

وهكذا بدأ المستمعون يتناقشون ، وكل يدلي برأيه ، وسمع تومي صوت توبنس الرفيع يقول :

– ان ولدي دوجلاس يقول في أحد خطاباته لي ..

وعجب تومي في نفسه ، لماذا يا ترى اختارت اسم دوجلاس لولدها !. وبعد تناول الغذاء انصرف الجميع إلى غرفة الاستراحة ، وبدأت السيدات يقتلن الوقت بالتريكو ، وأضطر تومي ان يستمع إلى حديث الماجور بلتشلي عن مغامرته في الحرب الأولى في الجبهة الغربية .. وبعد هنيهة انصرف الشاب الأشقر ، بعد أن انحنى لجميع من كانوا في الغرفة فقال الماجور بلتشلي لتومي :

– إن هذا الشاب الذي خرج تواً ، أحد اللاجئين ، فقد خرج من المانيا هارباً قبل اعلان الحرب بشهر واحد .

– هل هو الماني ؟.

– نعم ، ولكنه ليس يهودياً ، وقد قتل والده ، لأنه انتقد النظام النازي وله اخوان في المعتقلات هناك ، فقد خرج من الجحيم في الوقت المناسب .

وخرج تومي في الصباح التالي مبكراً ، وأخذ يتمشى ذهاباً وجيئة ، في الحديقة المحيطة بالفيللا حتى لمح شخصاً آتياً من الناحية المقبلة فرفع قبعته محيياً ثم قال :

– صباح الخير . مسز .. بلنكنسوب ، فيما أذكر .

ولما لم يكن هناك من يستمع إلى الحديث ، فأجابت توبنس متهكمة .

– ومن أنت ؟. الدكتور ليفنجستو ؟.

– كيف أتيت إلى هنا ؟ أي توبنس ، انها أيم الحق لمعجزة .

– ليس في الأمر معجزة قط .. كل ما في المسألة انني أعملت ذهني .. وبأبسط الوسائل .. حتى أعطيكما .. أنت والسيد جرانت درساً لا تنسيانه ابداً .

– وكيف حدث هذا ؟.

– الأمر في غاية البساطة ، عندما كان جرانت يتحدث معك ، وذكر اسم كارتر استنتجت أن العمل الذي يعرض عليك ، لا يمكن أن يكون عملا مكتبياً عادياً ، وقد أحسست انه من نوع لن اشترك فيه ، ولما كان هذا ضد رغبتي ، فقد انتهزت فرصة خروجي لاحضار الشراب لكما ، ونزلت إلى شقة جارتنا « مسز براون » ومن هناك طلبت صديقتي مورين تليفونياً ورجوتها أن تطلبني بعد لحظات ، وافهمتها ماذا تقول ، وقد نفذت تعليماتي حرفياً ، ومثلت دوري بعد ذلك ببراعة ، إذ انسحبت لنجـــدة صديقتي ، كما خيل اليكما ، وقفلت باب الشقة بعنف حتى تعتقدا انني خرجت ، بينما تسللت إلى غرفـة النوم ، وأخذت أنصت إلى حديثكما من خلف الباب .

– لا ذنب لي فيما حدث ، فمستر جرانت وحده هو المسؤول .

– لم يكن جديراً بمستر كارتر ان يعاملني هكذا ، ان ادارة المباحث تغيرت كثيراً عما كانت في أيامنا .

– لا شك انها ستعود كما كانت ، ما دمنا قد عاودنا نشاطنا ، ولكن .. لما اخترت اسم بلنكنسوب هذا ؟

– ولم لا ؟.

– غريب ان يقع اختيارك على هذا الأسم بالذات .

– ان حرف « ب » في بلنكنسوب يقوم مقام « ب » في برسفورد ، أيها الغبي ، وهذه الحروف مطرزة على جميع ملابسي الداخليـة ، وأنت ، ما الذي دعاك إلى اختيار اسم « ميدوز » انه الغباء المعهود ، فيما أظن .

أنا لم أختره وانما اختير لي ، والمستر ميدوز الحقيقي رجل له ماض ناصع حفظته عن ظهر قلب .

– هذا عظيم ، وهل أنت أعزب ، لم متزوج ؟

– انني أرمل ، توفيت زوجتي منذ عشر سنوات في سنغافورة .

وإذا افترضنا أن أحداً سعى للكشف عن حقيقـــة السيد بلنكنسوب المزعوم هذا .

– ان اولادي ليسوا من بلنكنسوب ، فهو زوجي الثـــاني ، أما زوجي الأول فأسمه « هيــل » وانك لتجد ثلاث صفحات كاملة في دليل التليفونات تشترك كلها في اسم « هيل » .

– انها دائماً نفس المسألة ، فانت تحبين تعقيد الأمور دائماً ، زوجان ، وثلاثة أبناء .. أني أعتقد انك ستناقضين نفسك بنفسك ، إذا سئلت عن بعض التفاصيل .

– أبداً ، بل على العكس ، انني سأنتفع بهؤلاء الأبناء ، ثم ، لا تنس انني حرة ، لا أتلقى أوامر أحد ، وقد اشتركت في هذا العمل لأسلي نفسي .. وسأسليها .

– يبدو ان الأمر بالنسبة اليك مجرد تسلية ، لعمري ، انها مهزلة .

– لماذا تقول ذلك ؟

– حسناً ، لقد أقمت بسان سومي مدة أطول من اقامتي أنا بها .. فهل ترين في كل من كانوا معنا بالأمس ، من يصح اعتباره من عملاء الأعداء ؟.

– لعل الأمر صعب التصديق حقاً . . ومع ذلك فهنـاك ذلك الشاب الأشقر ..

– تقصدين كارل فون دينيم ؟. انه أحد اللاجئين .. والبوليس يتحرى عنهم جميعاً .

ومع ذلك فانه يصلح ، ألا ترى انه جذاب ؟

– تقصدين أن الفتيات سيتملقن به ، ويدلين اليه بأخبار وأحاديث ؟

– كفى هذراً يا تومي ، اننا ندرس جدياً الآن .

– اني جاد تماماً فيما أقول ، وأظننا نجري وراء سراب .

– ما رأيك في مسز « برينا » نفسها ؟.

- نعم مسز برينا ، انها موضع نظر ، وتحتاج إلى شيء من الدراسة .
- وماذا عنا ، أعني كيف نتعاون ؟.
- لا يجب طبعاً أن نرى سوياً .
- كما يجب أن يتجاهل بعضنا البعض ، فلا يظهر ان ثمة علاقات سابقة بيننا وما أريده هو تنظيم مبدأ للعمل ، واني أقترح « الملاحقة » .
- الملاحقة ! ماذا تعني ؟.

- ان ألاحقك في كل مكان ، وأن تبـــذل جهودك في التخلص مني ، ولكنك - كجميع الرجال - لا تنجح دائماً في الهروب ، ولا تنسى انني تزوجت مرتين ، وفي حاجة إلى زوج ثالث ، وعليك ان تمثل دور الأرمل المتبوع ، فاذا رآنا احد سوياً فلن يقول سوى ، أنظر ، مستر ميدوز المسكين ، لعل السنارة قد شبكت !.

وفجأة أمسك تومي بذراعها ، وقال هامساً :
- انظري ، انظري أمامك مباشرة .
- انه كارل فون دينيم ، ولعمري ، من هي هذه الفتـــاة التي انهمك في الحديث معها هكذا .
- انها فتاة جميلة جداً على أية حال .

وراقبت توبنس الشابين ، فرأت وجه الفتـــاة الأسمر ، وهي تتحدث في حماسة إلى كارل الذي كان منصتاً إلى حديثها بشغف واضح ، ثم قالت توبنس :
- يحسن بنا ان نفترق الآن .

وبدأ تومي يسير في اتجاه مضاد ، حتى قابل الماجور بلتشلي ، الذي رمقه بنظرة فاحصة ثم قال :
- صباح الخير ، أرى انك مثلي ، ممن يبكرون في اليقظة .
ودار بينهما حديث طويل ، قص فيه تومي على الماجور كيف انه قابل

مسز بلنكنسوب وعلم منها أنها أرملة بلا زوج ، فحذره الآخر من حبائل الأرامل ، ثم اتجها سوياً إلى سان سومي لتناول طعام الافطار . وفي الوقت نفسه سارت توبنس في طريقها ومرت بالقرب من الزاوية التي اختلى فيهما الشابان ، وكانت الفتاة هي التي تتحدث ، وسمعتها توبنس تقول :

– ولكن يجب أن تكون على حذر يا كارل ، فأقل شك ..

ولم تستطع توبنس أن تقف لتستمع إلى باقي الحديث ، فسارت إلى نهاية الممر ، وعادت لتسمع من جديد ..

– .. حقير .. هذا الجنس الانجليزي البغيض !

وارتفع حاجبا مسز بلنكنسوب ، إن السيد كارل فون دينيم ، لاجىء الماني .. أوته بريطانيا لهربه من الوحشية النازية ، فلم يكن جديراً به أبداً ، ان يتفوه بمثل هذه الألفاظ . وعادت توبنس من جديد لتمر بجوارهما ، ولكنهما كانا قد افترقا ، فقد اتجهت الفتاة إلى ناحية البحر بينما سار كارل فون دينيم في الاتجاه المضاد ، وقابل توبنس ، فوقف وضم كعبيه بطريقة عسكرية ثم انحنى لها . فقالت :

– صباح الخير يا مستر فون دينيم .. ان الجو جميل هذا الصباح !

– نعم ، ان الطقس بديع !

– لقد اجتذبني للخروج ، فليس من عادتي اليقظة المبكرة . او على الأقل الخروج قبل تناول طعام الافطار ، ولكني لم أنم جيداً بالأمس ، ان المرء لا يتمتع بالنوم في مكان جديد عليه ، ولا بد أن يمر بعض الوقت حتى يألف الانسان المكان .. وقد أفدت فعلاً من السير هذا الصباح ، وتفتحت شهيتي للافطار ..

– أذاهب أنت إلى سان سومي الآن ؟ إذا سمحت .. رافقتك إلى هناك ..

وسار إلى جانبها ، فقالت توبنس :

- هل خرجت أنت أيضاً رغبة في فتح الشهية ؟

- لا ، أبداً . لقد تناولت طعام افطاري وانا في طريقي إلى العمل .. إني كيميائي !

وبعد لحظة سكون استطرد يقول :

- لقد تركت بلادي هرباً من الاضطهاد النازي ، وليس لدي مال كثير ، كما اني بلا صديق ، ولذلك أقوم بالعمل النافع الوحيد الذي أجيده ، ان اخوي في المعتقلات وقد توفي والدي في احدها ، واما والدتي فقد ماتت من الحزن والرعب ..

ومر بها رجلان سمعت توبنس أحدهما يقول :

- أراهنك أن هذا الشاب الماني !

فلاحظت توبنس الدماء تتصاعد إلى وجنتي كارل فون دينيم ، وفجأة فقد التسلط على أعصابه ، وظهرت عواطفه الحبيسة فجأة فقال :

- اسمعت ؟ اسمعت ؟ هذا هو ما يقولون ، انني ..

- يا ولدي العزيز ، لا تكن غبياً . انك لا تستطيع أن تملك ناصية الأمور ، أنت لاجيء ، ويجب عليك أن تحتمل السيئة والحسنى ، ولا تنس أنك حي وحر في نفس الوقت .. ولا تنتظر من رجل الشارع ان يميز بين الالماني الطيب والالماني الخبيث !

- الحق معك ، وحتى اكون المانياً طيباً ، يجب أن أكون في عملي الآن ! فلا تؤاخذيني .. أسعدت صباحاً !

ثم انحنى لها تلك الانحناءة التقليدية وانصرف

كانت أبواب ردهة سان سوسي مفتوحة . وسمعت وهي تقترب صوت مسز برينا تقول :

- لا تنس أن تطالبه بالكمية الأخيرة من الزبد الصناعي ، أوه . صباح الخير يا مسز بلنكنسوب . أرى انك تبكرين في اليقظة ، أقدم لك ابنتي

شيلا ، كانت على سفر ، ولم تحضر سوى مساء أمس !

فتمتمت توينس بألفاظ التحية المعتادة ،واتجهت إلى قاعة الطعام ، وكانت مسز سبروت هناك ومعها طفلتها ، ومسز أوروك ، فتبادلن جميعاً تحيـــة الصباح . وكانت مسز سبروت تطعم الطفلة ، التي ما أن رأت توبنس حتى اتجهت نحوها بكل حواسها .

فقالت مسز سبروت لتوبنس :

- إنها تحبك رغم أنها أحياناً تكون في غاية الخجل من الغرباء ..

وعادت بتي سبروت تصيح بكلمات غير مفهومة ، فسألت مسز أوروك في شغف :

- وماذا يا ترى تعني بهذا ؟

- إنها لا تنطق الألفاظ جيداً ، فعمرها أكثر من سنتين بأيام ، ولعل أكثر ما تقول لا معنى له ، ولو أنها تستطيـع أن تقول ماما، أليس كذلك يا حبيبتي؟

وعادت بتي بعد ان نظرت إلى أمها طويلاً تنطق بكلماتها المحرفة الغريبة !

فقالت مسز أوروك :

- ان للأطفال لغتهم الخاصة ، إنها لغة الملائكة الصغار ، والآن يا بتي العزيزة قولي : ما . ما !

فنظرت بتي إلى مسز أوروك ثم قالت في تأكيد :

- تازير .

ولعل مسز أوروك العجوز تضايقت من عدم استماع بتي لحديثها، وانصرفت من الحجرة غاضبة بعد أن رمقت الطفلة بنظرة غيظ!

فضحكت الطفلة وكأنما ارتاحت الى خروج العجوز ، وأخـذت تضرب بالملعقة على منضدة الأكل ..

وقالت توبنس :

- ترى .. ماذا تعني بكلمة « تازير . »

فأجابت مسز سبروت :

– انها فيما أعتقد الكلمة التي تقولها بتي عندما تكون كارهة لشخص مـا أو لشيء ما !

وضحكنا ، وعادت مسز سبروت تقول :

– على كل حال ، أعتقد أن مسز أوروك لا تظهر سوى الحنو نحو الفتاة، ولكن يظهر أن طريقتها في ذلك لا تعجب بتي ، خاصة وأن ذلك الشعر النامي على وجهها ليس مما يسر بتي أن تراه !

وأخذت بتي تصيح نحو توبنس .. فقالت مسز سبروت :

– لقد الفتك يا مسز بلنكنسوب ..

وفي تلك اللحظة فتح باب الردهة ودخل الماجور بلتشلي وتومي فصاحت توبنس :

– مستر ميدوز ، ليس للغائب نصيب .. ولم يبق لك من طعام الأفطار إلا القليل ثم أشارت إلى المقعد المجاور لها كأنما تدعوه ..

فقال تومي ، وهو يجلس على مقعد في طرف المائدة الآخر :

– أوه .. شكراً ، شكراً !

وحدثت توبنس نفسها ، لا بد أن يكون هناك خطأ ، لا يمكن أن يكون هناك خطأ .. لا يمكن أن يكون هنا شيء أبداً .. أية عقلية تستطيع تصديق أن في سان سوسي مركزاً لقيادة الطابور الخامس ؟

الفصل الثالث

تمت علاقات وطيدة بين تومي والماجور بلتشلي ، ورغبا كلاهما في لعب الجولف سوياً ، فذهبا إلى النادي الوحيد القريب ، وكانت النتيجة أن ربح الماجور فقال :

– انه شوط عظيم يا ميدوز .. ولعل سوء الحظ الذي لازمك هذه المرة يتركك في المرة القادمة ، إذ يجب أن نعاود اللعب من وقت إلى آخر ، والان تعالى معي لأقدمك لبعض السحاب من أعضاء هذا النادي .. آه . هـــذا هايدوك ، انه سيروقك ولا شك ، فهو ضابط بحار متقـــاعد ، وهو يملك ذلك المنزل المطل على القمة .. كما انه مراقب الغارات الجوية في هذه المنطقة !

كان الكوماندوز هايدوك رجلاً ضخماً ، سليم الطوية ، لفح وجهـه جو البحار ، الذي عاش فيه متنقلاً . فحيا تومي بحماسة وقال :

– وأخيراً وجد بلتشلي من يصاحبه في سان سوسي ، وسيتخلص من ذلك المستنقع الحريمي الذي كان يغوص فيه ، اليس كذلك يا بلتشلي ؟

– انني كما تعلم لست زير نساء ..

– المسألة انك لم تجد الصنف الذي يروقك ، هذا كل ما هنالك ، ان ما ترى هنا . جماعة من العجائز ، كل همهن الثرثرة والتريكو ..

– إنك تتناسى مس برينا !.

– آه .. شيلا ، انها فتاة جذابة بلا شك ، بل انها في رأيي نموذج للجمال .

كانت المشروبات قد أعدت ، وجلسوا جميعاً في شرفة النادي ، وأعاد هايدوك سؤاله من جديد ، فأجاب الماجور بلتشلي في عنف ..

– أنه ذلك الفتى الالماني الذي يزعجني فهي تقابله كثيراً ؟

– هل تريد أن تقول انها مغرمة به ؟ هذا أمر سيء للغاية ، والواقع أنه شاب جميل المظهر ، ولكن العلاقة لا يجب ان تسير في هذا الطريق ، فنحن لا نرضى عن مثل ذلك يا بلتشلي ، إنها ستؤدي إلى التعاون مع الأعداء .. اليس كذلك !

– ان شيلا فتاة غريبة في الواقع ، ثم انها تتصرف تصرفات مهمة .

– إن الدم الاسباني يجري في عروقها ، هل تعلم ان اباها نصف اسباني ؟

– لا أدري ، ولو أن الاسم كما أرى يدل على ذلك !

ونظر الكوماندور في ساعته ثم قال :

– انه وقت إذاعة الأخبار ، فهيا نستمع إلى ما هنالك !

ولم تتقدم المناقشة أكثر من ذلك ، لأن بلتشلي وتومي كانا مضطرين للذهاب إلى سان سوسي فقد حل موعد الغداء ، وقد دعا هايدوك تومي في حرارة إلى زيارته في منزله الصغير المسمى « استراحة المهربين » قائلاً انه مكان لطيف يطل على البحر ، وفيه كل ما يسلي ، كما طلب إلى بلتشلي أن يأتي معه .. فاتفق تومي والماجور على أن يذهبا اليه في مساء اليوم التالي ..

ومر العصر – في سان سوسي بأمن وسلام ، إذ ذهب المستر كايلي ليستريح مع زوجته الجميلة ، أما مسز بلنكنسوب فقد ذهبت – بارشاد مس منتون لتشتري بعض الحاجات ، التي قالت انها سترسلها إلى أبنائها في الجبهة أما المستر ميدرز فقد خرج من سان سوسي ، في هدوء ، وسار في الطريق الممتد حتى نهاية مدينة ليهامتون ، وابتاع علبة سجاير وعدداً من مجلة

(بنش) . ولما وصل إلى المرفأ الصغير ، قفز الى أحد القوارب العامة ، التي تنقل الركاب بين الحين والحين إلى سائر المدن الصغيرة المتناثرة على الساحل في تلك المنطقة ، ولم يكن بالقارب سوى بضعة أطفال يصيحون ، ورجل مسن جلس في مؤخرة القارب يتسلى بصيد السمك ، فاتجه اليه المستر ميدوز وسأله في أدب

– هل اصطدت شيئاً ؟

فهز الرجل رأسه قائلاً :

– لا جديد حتى الان ، وماذا فعلت انت ؟

– لا شيء حتى الان يا مستر غرانت ، سوى انني اندمجت في الجو .. وأعتقد انني وصلت إلى معلومات لا بأس بها . وأظنك تعرف أسماء نزلاء سان سوسي ..

– نعم ..

– لقد توطدت الصداقة بيني وبين الماجور بلتشلي ، ولعبنا الجولف سوياً هذا الصباح ، ويظهر انه يمثل الضابط المتقاعد العادي ، اما كايلي فانه يمثل المريض المخبول وقد قص علي – بمحض إرادته – انه كان في المانيا مدة طويلة قبل الحرب .

– هذه مسألة هامة

– ثم هناك فون دينيم .

– نعم ، واني لا اوصيك ، ان دينيم هو الشخص الذي يهمني امره !

– هل تظن انه (ن) ؟

– لا . لا أظن ، ففي رأيي ان (ن) لا يرى من الحكمة ان يظهر في المجتمع في ثياب الألمان . ثم اننا سنعتقل كل رعايا الأعداء ، الذين يتراوح سنهم بين السادسة عشرة والستين ، وسواء أكان خصومنا قد حسبوا حساب هذا أم لم يحسبوه ، فلا بد ان يدركوا جواز حدوثه في أية لحظة .

وبناء على ذلك يستحيل ان يجازفوا بعميد منظمتهم، فيتركوه عرضة للاعتقال ولذلك أرجح ان يكون (ن) من رعايا البلاد المحايدة ، او انجليزياً صميماً . وينطبق نفس الشيء على (م) أما فون دينيم فقد يكون في حلقات السلسلة ، ومن الجائز ألا يكون (ن) أو (م) في سان سوسي ، وربما يكون فون دينيم هو رسولهما هناك ، وعن طريقه نستطيع ان نصل اليهما وأظن ان هذا أقرب الفروض إلى الصواب .

– أعتقد انكم تحريتم عن كل نزلاء سان سوسي .

– كلا .. فان هذا مستحيل ، رغم انه يمكنني بلا شك أن اطلب من الادارة القيام به ، ولكني لا اخاطر بذلك يا برسفورد ، خاصة وانك تعلم ان (الادارة) نفسها موبوءة ، ولو ذكرت أي همسة عن سان سوسي ، فسيعلم بها الأعداء في الحال وهذا هو الذي دفعنا إلى استخدامك ، لأنك غريب عن الادارة ، فيجب عليك ان تعمل في الظلام ، دون انتظار مساعدة منا ، ومع كل هذا ، فقد تحرينا عن واحد منهم

– ومن هو يا سيدي ؟

– انه كارل فون دينيم نفسه ، اني أستطيع بكل بساطة ان أفعل به ما يروقني ، باعتباره من رعايا الأعداء .

– وماذا كانت النتيجة ؟.

– ان كل ما يقول السيد كارل صحيح .. فقد ظهر ان أباه مات في أحد المعتقلات وأن اخويه ما زالا سجينين ، وماتت امه في السنة الماضية بتأثير ارهاق عقلي عنيف وقد صرح الفتى حال وصوله برغبته في مساعدة هذه البلاد . وقد ثبت ان عمله في معمل البحوث الكيمائية لا غبار عليه .. كما انه استطاع ان يكشف وسائل مفيدة تقي البلاد شر بعض انواع الغازات السامة .

– وعلى ذلك ترى انه لا شك فيه ؟

– ليس ذلك ضرورياً .. ان اصدقائنا الالمـان ، اشتهروا بدقتهم في كل تصرفاتهم فان كان فون دينيم ، قد أرسل كعميل لهم ، فلا بد انهم قد اتخذوا الحيطة ، حتى يكون كل ما يعرف عنه مطابق لشخصيته . وهناك احتمالان : الأول ان تكون عائلة فون دينيم قد اندمجت جميعها في هذه الترتيبـــات .. والثاني ان يكون هذا الشخص رجلاً آخر تقمص شخصية كارل فون دينيم .

ربما .. ولو انه في نظري شاب في غاية اللطف .

– أجل .. انهم يظهرون كذلك دائماً ، ولعمري ، ما أغرب عملنا هذا فنحن نحترم خصومنا وهم يحترموننا . وقد جرت العـــادة ان تقدر خصمك وتعمل في نفس الوقت جاهداً على هدمه .

– ولكن هناك فئة لا نحترمها ولا نقدرها .

– نعم يا سيدي ، فئة الخونة الذين يقيمون بيننا ، اولئك الذين رضوا أن يبيعوا وطنهم ، وواجبنا ان نستأصل شأفتهم ونبيـدهم عن آخرهم على أن يتم ذلك بأسرع ما يمكن ، والا فاتنا القطار .

– لن يفوتنا القطار يا سيدي ، بكل تأكيد .

– ماذا يدفعك إلى هذا التأكيد ؟

– أنت يا سيدي ، فقد قلت ان واجبنا ان نستأصلهم بأسرع ما يمكن ، فنظر اليه جرانت في اعجاب وتمتم قائلاً :

– عظيم ، ولكن ما رأيك في سيدات سان سوسي ؟. هل ترى فيهن من يشتبه في أمرها ؟.

– اني أرى بعض الغرابة في سلوك صاحبة المكان .

– مسز برينا ؟

– نعم .. أتعلم أي شيء عنها ؟

– سأحاول ان أتحرى عنها رغم ما في ذلك من مخاطرة .

– نعم .. فهي الوحيـــدة بين النساء التي تحوم حولها شكوكي .. اما

الباقيات . فهناك أم شابة ، وعانس كثيرة الكلام .. وامرأة مخبولة وسواسة . وهناك أيضاً امرأة ايرلندية مخيفة المنظر . وكلهن - فيما أرى - لا ضرر منهن ..

- وغير هؤلاء ؟

- هناك مسز بلنكنسوب التي وصلت منذ ثلاثة أيام فقط .

- وماذا عنها ؟

- ان مسز بلنكنسوب ، هي .. زوجتي .

- ماذا !.

وصاح جرانت وهو يدور حول نفسه متفرساً في تومي بغضب شديد

- امرتك يا تومي ، ألا تنبس بكلمة واحدة لزوجتك ؟.

- نعم يا سيدي ، وقد فعلت ، ولكن اذا أعرتني سمعك قليلاً .

وفي ايجاز روى تومي كل ما حدث ، دون ان يجرؤ على النظر إلى محدثه ، ومرت فترة سكون بعد ان أتم القصة ، وتبع ذلك ضحكات بل قهقهة المستر جرانت التي استمرت عدة دقائق . ثم قال :

- اني أحني هامتي لهذه السيدة . انك لا تجد واحدة في الألف مثلها .

- انها زوجتي يا سيدي ، واني فخور بها .

- سيضحك ايسامتون ملء شدقيه ، عندما يسمع هذه القصة ، فقد تنبأ بها ، وحذرني من تهيئة فرصة لها للعمل تحت امرتي حتى لا تفوز علي .. ولكنني لم أهتم بما قال وكنت انوي الاتصال بها قريباً لتكليفها بمهمة أخرى ، ولكن هذا الحادث ، رغم انه في صالحنا ، يرينا إلى أي حد يجب ان نكون على حذر ، فقد ظننت يوم زرتك انني اتخذت كل احتياطياتي ، لأمنع أي مخلوق من الانصات إلى حديثنا . وأقنعت نفسي أولاً بأنك وزوجتك وحدكما في الشقة .. كما انني سمعت ذلك الصوت الحاد في التلفون فلم يساورني فيه أي شك ، ورغم كل ذلك فقد خدعت بلعبة الباب المصفوق القديمة ..

أجل انها سيدة بارعة .

وسكت لحظة ثم قال :

– بلغها عن لساني اني أعترف لها بالغلبة ، وأني اعتبرها معنا في العمل ، ولعمري انها معنا سواء أردنا أم لم نرد ، فبلغهـــا ان (الادارة) تتشرف باشتراكها معنا في هذه المهمة .

– سأبلغها ذلك يا سيدي .

– ولكن المسألة خطيرة إلى حد كبير فاذا حدث وكشفوا أمرك .. أو أمرها ..

– اني أفهم هذا جيداً يا سيدى . ولكننا اعتـــدنا – منذ زواجنا – أن نشترك في كل شيء .

الفصل الرابع

عندما دخلت توبنس غرفة الاستراحة في سان سومي كانت مسز أورورك وحيدة تتطلع من النافذة إلى الخارج ، فخيل لتوبنس انها أشبه الأشياء بتمثال بوذا الضخم .. فقطعت توبنس عليها تيار احلامها وسألتها :

– هل تعتقدين ان مسز برينا ايرلندية ؟

– أجل .. ولست أشك في ذلك . فانني أعرف الناس بسيدات بلادي . وانني استطيع تحديد المنطقة التي تنتمي اليها ، رغم انها تدعي في كل وقت انها انجليزية وان زوجها اسباني .

وانقطع الحديث عندما دخلت القاعة مسز سبروت يتبعها تومي،فسارعت توبنس إلى تمثيل دور الاهتمام به وقالت :

– مساء الخير يا مستر ميدوز ، يبدو عليك النشاط الليلة .

– يرجع السر في ذلك إلى الرياضة المتواصلة ، فقد لعبت شوط جولف في هذا الصباح وقمت بجولة طويلة بعد الظهر .

وقالت مسز سبروت :

– أما أنا ، فقد صحبت الطفلة إلى الشاطىء ، وكانت تود النزول في أحد القوارب ولكنني خفت عليها البرد فساعدتها في بناء بيوت من الرمال .. وأهملت التريكو ..

.. وبعد لحظات وصل باقي النزلاء ، ثم دق ناقوس العشاء ، ودار الحديث بين الجميع على المائدة ، في موضوعات الحرب والجاسوسية والتموين ، وبعد العشاء خرجت توبنس وتبعها تومي ، وسارا قليلاً فترة من الوقت ، استعرضا فيها شكوكهما بالنسبة لكل نزلاء سان سوسي .. ثم تركت تومي ، وفي طريقها إلى الفيلا ، اشترت بعض طوابع البريد ودخلت أحد أكشاك التليفون العامة وطلبت مستر « فراداي » ، وكانت هذه هي الوسيلة التي اتفق عليها تومي للاتصال بمستر جرانت ، وخرجت من كشك التليفون باسمة ، ثم اشترت بعض الصوف اللازم لأشغال التريكو ..

وفكرت وهي تسير في طريقها إلى الفيلا في شخصية مسز بلنكنسوب التي تقمصتها ، شخصية السيدة التي لا تجيد التريكو .. ولكن تقضي أغلب وقتها فيه ، وفي كتابة الخطابات لأبنائها .. ثم فكرت أيضاً في أنها كثيراً ما تتعمد ترك هذه الخطابات في غرفتها قبل الانتهاء منها .. ووصلت توبنس إلى قمة التل المطل على سان سوسي .. وسارت في الطريق المؤدي اليها ، ذلك الطريق الذي ينتهي من الناحية الأخرى بمنزل الكوماندوز هايدوك المسمى استراحة المهربين ، وأخذت تتسلى بقراءة أسماء الفيلات ، حتى إذا قاربت سان سوسي رأت منظراً أثار دهشتها ..

كان هناك خيال امرأة واقفة إلى جوار سور الفيلا الحديدي تتلصص بالنظر إلى داخلها في شكل مريب .. ودون وعي أخفت توبنس صوت خطواتها وسارت باحتراس ولم تحس بها تلك المرأة الغريبة ، حتى أصبحت توبنس خلفها تماماً ، فاستدارت ..

كانت امرأة طويلة القامة متوسطة السن ، ترتدي ثياباً حقيرة وكان هناك تباين واضح بين جمال وجهها وحقارة ملابسها ، وأحست توبنس لأول وهلة ، أن هذا الوجه ليس غريباً عليها ، ولكن هذا الاحساس سرعان ما اختفى عندما أجفلت المرأة ، وظهرت على وجهها علامات الذعر والفزع ، فسألتها

توبنس في هدوء :

— لا تؤاخذيني ، هل تبحثين عن شخص ما ؟

وأجابت المرأة ببطء وبلهجة أجنبية ، وكانت تنطق الكلمات كما لو كانت قطعة محفوظات :

— هذا المنزل يدعى سان سوسي ؟

— نعم ، وأنا من ساكناته ، هل تطلبين أحد منهم .

— أتسمحين ؟ هل هناك من يدعى المستر « روزنستاين » ؟

— مستر روزنستاين ؟. لا .. أخشى ألا يكون هذا الاسم هنا وربما كان .. فإذا أردت بحثنا لك عنه في سجلات الفيلا .. أو نسأل صاحبتها ..

— لا ، لا ضرورة ، فقد اخطأت .. لا تؤاخذيني من فضلك ..

وأسرعت فاستدارت وانحدرت مع التل ..

والتفتت توبنس تتطلع خلفها ، وقد ثارت شكوكها ، فإن هناك تبايناً عظيماً بين تلك المرأة ومظهرها .. واسم روزنستاين هذا .. لقد اخترعته في الحال ، ثم بدأت تهبط التل خلف تلك الغريبة ، ولكنها ما كادت تخطو عدة خطوات ، حتى توقفت ، وفكرت في انها لو سارت خلفها فإنها ستجتذب الأنظار إلى نفسها ، فربما كان هناك من رآها وهي على أهبة الدخول إلى سان سوسي .. فإذا رؤيت بعد ذلك مباشرة وهي تتبع هذه المرأة فإنها ستثير الشكوك نحوها .. وبخاصة إذا كانت تلك الغريبة من عصبة الأعداء .. فصممت على أن تعود بالتالي إلى سان سوسي ، وعندما دخلت إلى الردهة الخارجية لم تر أحداً ، وسمعت بعد لحظة صوتاً ليس غريباً عليها فإنه أحد الأصوات التي تعرفها جيداً ..

كان التليفون في فيلا سان سوسي موضوعاً في الردهة الخارجية ، ولم يكن هناك من يتكلم فيه ، ولكنها سمعت صوتاً هو صوت وضع السماعة أو رفعها

عن آلة فرعية في مكان ما .. وكانت توبنس تعلم تماماً أن آلة فرعية واحدة في المكان ، وأنها في غرفة نوم مسز برينا .. ولو كان تومي في هــذا الموقف لما جرؤ وما أقدم على ما فعلت توبنس ، ولكنها لم تتردد ، فقــــد سارت في خفة إلى موضع التليفون ، ورفعت السماعة بهدوء ، واستمعت إلى ما يدور من حديث .. كان هناك من يتــكلم ، إنه صوت رجل ، وكان يقول :

– كل شيء يسير على ما يرام ، اذن في الرابع كما هو المتفق عليه ؟

وأجاب صوت نسائي :

– نعم ، ولنواصل العمل ..

ووضعت السماعة ..

ووقفت توبنس تفكر لحظة .. هل يكون ذلك صوت مسز برينا ؟ من الصعب التأكد من ذلك ، وتمنت لو استمر الحديث فـترة أطول ، ولكن .. اليس من الممكن أن يكون حديثاً عادياً لا قيمة له ؟

ولاح خيال على أحد الأبواب ، فأسرعت توبنس ووضعت السماعــة في مكانها ، وعندئذ سمعت صوت مسز برينا تقول :

– ما أجمل الجو الآن .. هل أنت خارجة يا مسز بلنكنسوب أم قادمة؟

وأجابت توبنس بأنها قضت الوقت في الخارج ، وأنهـــا في طريقتها .. إلى غرفتها .. واستنتجت توبنس أن التي تحـــدثت في التليفون لم تكن مسز برينا ، فإن المسافة من غرفتها إلى الردهة لا يمكن أن تقطع في تلك اللحظات القصار بعد ختام الحديث التليفوني وظهورها في الردهة .

وخيل لتوبنس أن مسز برينا تتحرك خلفها ببطء ، فالتفتت ورأت مسز أووروك في أعلا الدرج تسد عليها الطريق بجسمها الضخم وفي تلك اللحظة الحرجة ، مرقت من خلف مسز أووروك . بتي الصغيرة وكانت تصيح ..

وتعلقت بتي بتوبنس فأكملت صعود الدرج ، وقابلت مسز سبروت على باب غرفتها ، وكانت قد بدأت تعنف الطفلة ، فدخلت توبنس غرفـــة مسز

سبروت ورأت ملابس الطفلة منتثرة هنا وهناك ، مختلطة بلعبها وكتبها ، كما لاحظت صورة لمستر سبروت موضوعة فوق صيوان الملابس ، وكان كل ما في الغرفة على حال من الفوضى لا حد له ، وأدركت توبنس الأسباب التي تدعو مسز سبروت إلى العزوف عن استقبال أحد في غرفتها ، انها هذه الفوضى الدائمة بلا شك ، حقاً ان كل ما في سان سوسي يبدو طبيعياً ، ولا بد أنها أعصاب توبنس المرهقة التي صورت لها ما صورت ، ولكن . ان شخصاً ما كان يتكلم في التليفون .. من غرفة نوم مسز برينا بالتأكيد ، ويتحدث الرابع .. هل كانت مسز اوروك ؟ ان ذلك يبدو مستبعداً ..

قد لا تعني هذه الكلمات شيئاً .. وقد تعني أشياء خطيرة ..

الرابع ، هل هو تاريخ .. الرابع من الشهر مثلاً ، أو .. أي شيء ، ان تحقيق ذلك مستحيل ولعل المسألة لا تعدو ان تكون أمراً عادياً جداً ، كأن تكون مسز برينا قد سمعت لمسز أوروك باستعمال التليفون الموجود في غرفة نومها في أي لحظة تشاء ..

الفصل الخامس

ظهر ان الكوماندوز هايدوك مضيف من الطراز الأول ، فقد قابل المستر ميدوز والماجور بلتشلي بحماسة وصمم أن يطوف بالأول كل أرجاء منزله الصغير المسمى « استراحة المهربين » ولم تكن هذه الاستراحة في أول أمرهـــا سوى كوخين من أكواخ حراس الشواطىء يقعان على قمة تشرف على الشاطىء ، اشتراهما أحد رجال الأعمال وربط بينهما ، وحاول ان يزرع حـــديقة في الأرض المحيطة بأحدهما ، اذ أن الجهة الأخرى كانت هوة لا يخاطر بالاقتراب منها إلا المخاطرون من الشباب ..

وكان رجل الأعمال هذا ، لا يزور تلك الناحية ، إلا في شهور الصيف ، ثم يتركها ، فتبقى بلا ساكن عدة سنوات ، وكانت تؤجر في شهور الصيف فقط ..

وقال هايدوك يكمل قصة منزله :

ثم اشتراها رجل يدعى « هاهن » وكان المانيا ، وإذا سألتني عن صناعته لم أجد لها وصفاً سوى أنه كان جاسوساً لا أقل ولا اكثر ..

جاسوس .. انها لقصة مثيرة ..

- نعم .. وهم قوم بعيدو النظر .. خذ مثلاً موقع هذا المكان ، انـــه أحسن مكان مناسب لارسال الاشارات عبر البحر .. ولديك مرفـأ حتى يستطيع أن يختفي فيه قاربك البخاري .. لو أردت ، وقد صرف « هاهن »

على المكان كله مبالغ طائلة . فقد أنشأ سلماً حجرياً ضخماً ، يصل المكان بالشاطىء . والغريب في الأمر ان جميع الانشاءات التي أجراها والتحسينات التي تمت في البناية نفسها لم يقم بها أي مواطن ، فقد كان جميع العمال من الأجانب .

– أمر غريب ولا شك ..

– وكنت أقيم في هذه المنطقة حينذاك ، وقد أثار اهتمامي ما كان يفعله الرجل فكنت أخرج من منزلي وآتي إلى هنا أرقب العمال الالمان ، ولما تحققت من غرابة الأعمال التي يقومون بها اتصلت برجـال البوليس وأوضحت لهم شكوكي ، ولكنهم لم يعيروا قولي أي التفات .. فان الحرب مع المانيا كانت امراً بعيداً عن تصورهم ، وقد اعتبروني حينئذ من الرجعيين أو مجنوني الحرب ولكنني كنت أعلم .. أعلم أن أصدقاءنا الألمان قوم شديدو الصبر .. يعدون العدة لأي أمر من الأمور في تؤدة وعلى مهل .. ولم تعجبني اطلاقـاً أحوال ذلك الرجل « ماهن » فأخذت أتحدث عن شكوكي لكل معارفي ..

وأخيراً تركت أحاديثي بعض الأثر ، وتعرفت إلى أحد رجال البوليس ، وأقنعته بشكوكي ، فلم يجد غضاضة في مراقبة هـاهن ويظهر أن هذا أحس بالمراقبة ، فاختفى نهائياً ، فصدر الأمر لرجال البوليس بتفتيش المكان فوجدوا جهـازاً لاسلكياً ، أخفي بمهارة في حـائط حجرة الطعـام .. كما وجدوا اوراقاً ذات أهمية عظمى ، وخزاناً ضخماً للبترول تحت الجراج . وغير ذلك . وفي النهاية عرض المنزل للبيع ، فاشتريته ، واني أود ان ترى ما فيه .. هيا يا ميدوز .

– أشكرك .. اني اود ان أراه !

وقام الرجلان ، وقد أظهر هايدوك حماسة الطفولة ، وهو يري ضيفـه مكان جهاز اللاسلكي المدفون في حائط حجرة الطعام ، وكذلك مخزن البنزين تحت الجراج ، ثم « الحمامين الجميلين » وأدواتها الغريبـة ووسائـل الإنارة

المختلفة . وبعد ذلك رأى الطريق الحجري المدرج الموصل إلى شاطىء البحر ..

وعاد هايدوك يحدث ضيفه من جديد عن قيمة المكان كله من الوجهة الحربية .. ولم يدر الماجور بلتشلي مع الرجلين دورتهما هذه ، ولكنه مكث حيث كان في الشرفة ، يجرع كؤوس الشراب ، وقد أدرك تومي أن الماجور لم يترك واحداً من أصدقائه دون ان يحدثه عن الجاسوس الذي اكتشفه ، وبعد فترة قام بلتشلي وصحب تومي إلى سان سومي .. وقال الماجور وهما في الطريق :

– إن هايدوك هذا رجل طيب ، ومع ذلك فإنه لا يترك الأمور تمر ببساطة ، فقد سمعنا منه قصة الجاسوسية هذه مئات المرات .

ثم راح بلتشلي نفسه يقص على تومي إحدى مخاطراته الخاصة ، ولم يكن تومي على استعداد لتتبع تفاصيل هذه القصة ، إذ كان قد سرح بأفكاره الخاصة .

وكان تومي قد آمن حينئذ ان المرحوم (فاركوهار) الذي حل هو محله .. كان يسير في الطريق الصحيح عندما ذكر (سان سومي) قبل وفاته . كما تأكد بعد أن رأى ما رآه في « استراحة المهربين » ، وتلك الاستعدادات التي أعدها (هاهن) الالماني ان تلك المنطقة من المناطق التي يهتم بها العدو منذ عهد بعيد . وان نشاط (هاهن) لم يكتشف إلا بطريق الصدفة ، ونتيجة لمجهودات الكوماندوز المتواصلة .

وتذكر تومي قصة مسز برينا أن زوجها – كما تقول – اشترى سان سومي منذ أربعة أعوام تقريباً .. فهل هذه هي الحلقة الثانية ؟. إن كل شيء جائز ومحتمل ..

وفكر في ذلك السكون والهدوء السطحي ، الذي تمتاز به سان

سوسي . إنه سكون ظاهري يخفي وراءه كثيراً ، ومسز برينـــا – في نظره – هي البؤرة التي تتجمع فيها كل الاشعاعات، فيجب مراقبتها .. وإذا كانت مسز برينا هي السيدة التي يرمز اليها بالحرف (م) فانها تكون زعيمة أعمال الجاسوسية والطابور الخامس في هذه البلاد.. ولا بد أن شخصيتها ليست معروفة إلا لرؤسائها .. ولكن .. لا بد أن تتصل بالطبقة التي تليها في الأهمية وعلى تومي وتوبنس ، أن يكتشفا هذه الطبقة .. ثم أن الانتفـــاع باستراحة المهربين ليس بالأمر المستحيـل .. ففي الوقت المنـاسب يستطيع أسياد سـان سوسي أن يجعلوه تحت تصرفهم .. لكن اللحظة المناسبـة لم تأت .

كتبت توبنس خطاباً لابنتها ديبورا ، وآخر لدريك ولدها ، وخرجت بنفسها لتودعها صندوق البريد ، وفي عودتها مرت بقمة التل المجاورة لسان سوسي ، فاسترعى انتباهها شبحان وقفا يتبادلان الحديث ، فتسمرت توبنس في مكانها ، لما تبينت أن أحد هذين الشبحين ، هو المرأة الغريبـــة التي رأتها بالأمس ، وان الشبح الآخر هو كارل فون دينيم .

وضايق توبنس عدم وجود مكان تستطيع الاختفاء فيـه ، كما لم يكن في استطاعتهـا الاقتراب منهما ، لتسمع مـا يدور بينهما من حديث دون أن يرياها . وفوق ذلك فقد أدار الشاب الألماني رأســـه في تلك اللحظة ، ورآها . فهمس بكلمات قلائل للمرأة الغريبة فافترقا .. وانحدرت المرأة مع التل بسرعـة ، عابرة الطريق الرئيسي ، مـارة بتوبنس التي كانت في الناحية الأخرى ..

أما كارل فون دينيم ، فقد انتظر حيث كان إلى أن وصلت توبنس ، فـألقى عليها التحيـة ، بلهجـة تنم عـن الأسى . فقـالت توبنس على الفور :

– ما أشد غرابة مظهر هذه السيدة التي كنت تتحدث اليها ، يا مستر دينيم ..

– نعم انها من أواسط أوروبا ، إنها بولندية .

– أحقاً ! أهي صديقة لك ؟

أبداً ، فأنا لم أرها قبل هذه اللحظة .

– لقد ظننت .

– كانت تسألني عن الطريق ، وكان حديثنا بالألمانيـــة ، لأنها لا تكاد تفهم الانجليزية ..

– كانت تسألك عن الطريق ؟

. وسألتني ما إذا كنت أعرف « مسز جودليب » فأجبتها بالنفي ، فقالت انها ربما أخطأت العنوان .

ورمقت توبنس كارل وهو يسير إلى جوارهـــا .. وفكرت في هذه المرأة ، التي تسأل ساعـة عن مستر روزنستاين .. وساعـة أخرى عن مسز جودليب . وأحست بشكوك لا نهاية لها .

وخيل اليها أن الحديث بين كارل وتلك المرأة ، لا بد قـــد استغرق وقتاً طويلاً .. واستعادت في ذاكرتها حديث كارل وشيـلا ، لما قالت له : « يجب أن تكون على حذر » ..

وسارت توبنس إلى غرفة نومها وهي تفكر في كارل وشيلا ومسز برينـا صاحبة الفيلا ..

وقبل أن تذهب إلى فراشها ، اتجهت إلى مكتبها الصغـــير ، وفتحت أحـد الأدراج ، وكان به صنـدوق صغير فلبست قفازهـا ، وفتحت الصندوق .

إن به مجموعة من الخطابات ، وفوقها جميعـــاً ذلك الخطاب الذي تسلمته في الصباح من ابنهـا المزعوم رايموند ، ففتحته توبنس باحتيـاط ،

ثم ضمت شفتيها ، وقطبت وجهها ..

إن الرمش الصغير الذي كان بين طيات الخطاب قد اختفى ، فذهبت بالخطاب الى منضدة الزينة ، واستعانت باحد المساحيق الغامقة التي تستعملها في تظليل جفونها ، فرشته على الخطاب ، ثم نفضته .. فلم يظهر أي أثر لبصمات الأصابع ..

فهزت توبنس رأسها في تأكيد ، كان لا بد من وجود بصمات . بصمات توبنس نفسها على الأقل . وقالت لنفسها : يجوز أن يقرأ أحد الخدم خطاباتها بدافع حب الاستطلاع مثلاً ، ولو أن ذلك مستبعد ، ولكن الخادم لا يفكر مطلقاً في إزالة آثار بصمات الأصابع .. هل هي مسز برينا ؟. أم شيلا ؟ أم شخص آخر ؟ إنه على كل حال شخص يهتم بحركات القوات البريطانية ..

وبدأت تفكر في الاحتمالات المختلفة .. وفي وجوب إجراء تجربة لمعرفة الشخص أو الأشخاص الذين يهتمون بحركات هذه القوات ..

وقضت توبنس الصباح التالي في فراشها .. حتى دخلت بتي اليها .. وكانت توبنس تحب الطفلة ، وصعدت الطفلة على الفراش إلى جوار توبنس والقت اليها بكتاب من كتب الأطفال عنوانه أحلام ساندريلا، وأخذت توبنس تمازح الطفلة وتداعبها وتروي لها بعض طرائف الكتاب .

وفجأة اندفعت مسز سبروت الى الحجرة وهي تقول :

– ها هي العزيزة بحثت عنك في كل مكان أيتها الشيطانة الصغيرة .. كم أنا آسفة يا مسز بلنكنسوب .

كانت بتي فد حلت أربطة الحذاء ، وبللتها جميعاً في كوب اللبن ، وأخذت تعبث بها وجلست توبنس في فراشها تضحك ، ثم قالت تقاطع مسز سبروت التي انهالت اعتذاراتها :

– لا داعي لكل هذا يا مسز سبروت ، فالأربطة يمكن تجفيفها ، وأنا التي أخطأت إذ لم ألاحظ ما تفعل .

إذا سمحت ، سآتي لك بإربطة أخرى .

– لا لا وأشكرك ، فلدي غيرها .. كما أن هذه ستجف بلا شك .

وسحبت مسز سبروت الطفلة من يدها .. وقـــامت توبنس من الفراش لتنفذ ما عزمت عليه ..

الفصل السادس

ونظر تومي بعجب إلى الحزمة التي ألقت بها توبنس اليه وسأل :

– هل هي هذه ؟

– نعم .

وتشمم رائحة الحزمة الغريبة ، فقالت توبنس :

– أبعدها عن ملابسك بقدر ما تستطيع .. وإلا فلن تقترب منك فتاة ..

وتوالت الحوادث بعد ذلك :

فقد ظهرت رائحة غريبة في حجرة مستر ميدوز . وكان معروفاً بين ه سان سوسي ، انه رجل قانع قليل الشكوى . ومع ذلك فانه تحدث تلك الرائحة لمسز برينا التي استغربتها ، ثم قالت :

– ربما كان هناك شرخ في إحدى أنابيب الغاز ..

وتتبع مستر ميدوز أنابيب الغاز في غرفته دون جدوى ، وقال :

– لا بد أن يكون هناك فأر ميت في الغرفة ..

ولكن مسز برينا شكت في الأمر .. فان فأراً واحداً لم يسبق أن دخل سان سوسي .. وتناقش الرجل طويلاً مع صاحبة المنزل . يراً قال :

– إنني لا أستطيع أن أبيت ليلة أخرى في هذه الغرفة .

– لك الحق في ذلك . ولكن يؤسفني جداً انــــه لم يبق في المنزل كله غرفة لائقة ، فان الغرفة الوحيدة الخالية قد لا تروقك ، فهي لا تطل على البحر ، ولكن إذا وافقت على الانتقال اليها مؤقتاً فتفضل .

ولم يكن لدى مستر ميدوز أي مانع.فقبــــل الانتقال ، لأن غرضه هو الابتعاد بقدر الامكان عن هذه الرائحة الكريهة . وقادته مسز برينا الى غرفة تصادف انها تقابل غرفة مسز بلنككنسوب .

أما الحادث الثاني ، فان مستر ميدوز المسكين أصيب بأعراض الانفلونزا في تلك الليلة .

وأخذ يعطس ، ويغير مناديله طول الوقت .. ولم ير أحد طبعاً شرائح البصل التي وضعها في تلك المناديل ، كما أن أحداً لم يشم رائحة البصل غيره ، إذ كان قد عطر جميع المناديل بماء الكولونيا الذي يستعمله في حلاقة ذقنه . وأخيراً اضطر مستر ميدوز المسكين .. أن يعتكف في غرفته تحت وطأة هذه الانفلونزا الحادة .

وفي الصباح وصل مسز بلنككنسوب خطاب من ولدها دوجلاس .. وقــد هللت عندما تسلمت هذا الخطاب الى حد أن علم به كل من كان في سان سوسي .. وكانت قد أشاعت أن هذا الخطاب لم يمر مطلقاً على الرقيب ، فقد سلمه اليها أحد أصدقاء ولدها ، وهكذا استطاع دوجلاس العزيز أن يكتب لها بحرية ، واستطاعت هي بدورهـــا أن تعرف من الحقائق ما لن تصرح به ولن تذيعه ، أن كل ما يقال ويشاع ليس شيئاً إلى جانب ما عرفت .

وبعد ان تناولت طعام الإفطار ، صعدت إلى غرفتها ، ثم فتحت صندوق الخطابات ، وأودعته خطاب دوجلاس ، بعد أن رشت عليه قليلاً من مسحوق الأرز ، وضغطت عليه بأصابعها ، وخرجت من غرفتها وهي تسعل ، فسمعت

من الغرفة المقابلة سعالاً آخر .

ثم أذاعت في سان سوسي انها ذاهبة الى محاميها في لندن ، وانها ستشتري بعض الحاجات من العاصمة ، فكلفها بعض النزلاء بشراء أشياء لا يجدونها في حوانيت وليهامن .

وفيما هي خارجة من باب الحديقة ، قابلت كارل فون دينيم ، واقفاً وقد عقد يديه فوق صدره ، وأطرق مفكراً ، ولما رآها انحنى محييـاً في وجوم وأدب ، فسألته :

– ماذا بك اليوم ؟ هل هناك مشكلة ؟

– مشاكل كثيرة ، إن مثلي كمثل من يمسك بالنار ولا يريد ان يحترق ، اني لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال ، والوسيلة الوحيدة ، هي أن أنتهي من كل شيء .

– ماذا تعني ؟

– إنك تفهمين ما أعني ، لقد أظهرت حنانك لي ، وتعلمين انني هربت من بلادي لانعدام العدالة فيهـا ، وللقسوة التي يعامل بها الأحرار هناك ، وقد أتيت الى هذه البلاد لأجد الحرية ، وحقاً اني أكره المانيا النازية ، ولكن ، لا أستطيع أ بداً أن أتجرد من ألمانيتي ، إنني ألماني ، ألماني

– يظهر أن هناك متاعب من هذه الناحية ؟

– انها متاعب نفسية ، فعندما أسمع عن طائراتكم تضرب مدننا ، وعن الجنود الألمان الذين يقتلون ، وعن الطائرات الألمانية التي تحترق ، والمصانع التي تدمر ، وهي مصانع أهلي وعشيرتي ، وعندما أسمع ذلك الماجور ، آكل النار ، يقول وهو يقرأ صحيفته ، هؤلاء الملاعين هؤلاء الخنازير ، يصل بي الغضب الى حد لا أستطيع احتماله ، وعلى هذا ترين انني أفكر جدياً في الانتهاء من كل شيء .

– هذا كلام لا معنى له ، أنا معك من ناحية ، فاحساساتك ملكك ،

إفعل بها ما تشاء ، ولكن يجب أن تقاوم ، يجب أن تقاوم ، فلا حيلة لك في تغيير الأوضاع .

– كم أود أن أعتقل على الأقل ، إن هذا ليريحني كثيراً .

– ربما ، ولكنك فيما علمت ، تقوم بعمل له أهميته ، وهو ليس عملاً نافعاً لبريطانيا وحدها ، ولكنه نافع للانسانية كلها .

– نعم ، وأظنني وفقت الى بعض الاكتشافات .

– هذا جميل ما دمت تعمل لخير الإنسانية ، أما من ناحية الشتائم التي تسمعها ، فنحن معذورون في ذلك ، ولا تنس أنهم يفعلون نفس الشيء في ألمانيا .

وتناول كارل يدها وقبلها ، ثم قال :

– اني اشكرك ان كل ما تقولين حق ولا بد لي من الاستعانة بالصبر والجلد.

وسارت توبنس الى المحطة وهي تفكر ، ان أقرب نزلاء سان سوسي الى قلبها هو هذا الشاب ، ولكنه ألماني بكل أسف ، ورغم انها لم تكن راغبة في الذهاب إلى لندن الا أنها رأت وجوب ذلك ، فقد أذاعت الخبر ، وقد يحدث بالصدفة – اذا لم تذهب – أن يراها أحد في أي مكان آخر ، فيشاع ذلك فوراً في سان سوسي .

فيجب أن تذهب ، وما ان غادرت شباك التذاكر حتى قابلتها شيلا برينا !

– هالو ، الى أين أنت ذاهبة ؟ لقد حضرت لأتسلم طرداً .

– الى لندن .

– آه ، نعم ، نعم ، سمعتك تذكرين ذلك ، سأتسلم الطرد وآتي لمرافقتك الى القطار .

وذهبت الفتاة ثم عادت لتبقى مع توبنس حتى تحرك القطار ، فجلست توبنس على مقعدها تفكر ، هل كان ذلك مصادفة ! أم أن مسز برينا أرسلت ابنتها خصيصاً للتأكد من سفر مسز بلنكنسوب ؟ وان الأمر

ليبدو كذلك .

ولم تستطع توبنس الاختلاء بتومي ، حتى كان صباح اليوم التالي .. وكانا قد اتفقا على ألا يتقابلا في سان سومي ، فخرج مستر ميدوز - بعد أن خفت عنه وطأة الزكام - يتمشى الى جوار الشاطىء ، ثم جلس على أحد المقاعد الحجرية المنتثرة ، وهناك رأته مسز بلنكنسوب مصادفة ، وقالت بعد أن تأكدت ألا رقيب هناك .

- ماذا وراءك ؟

- لقد قضيت يوماً من أصعب الأيام ، إذ كاد عنقي يكسر من طول المراقبة ، ولكني عرفت أشياء لا بأس بها على كل حال .

- لا بأس على عنقك ، حدثني بما عرفت .

- دخل الخدم طبعاً ليرتبوا غرفتك كما هي العادة ، ودخلت مسز برينا أيضاً لتعنف الخادمة وتستعجلها في عملها ، كما دخلت بتي .

- ثم من ؟

- ثم شخص آخر .

- من ؟

- كارل فون دينيم .

- كارل ! أوه ، متى ؟

- في وقت الغداء ، رأيته يسير متلصصاً في الطرقة ثم سار إلى غرفتك ، ومكث هناك حوالى ربع الساعة ثم خرج .

- آه !

- إن هذا يكفي فيما أظن .

وأطرقت توبنس ، نعم ان هذا يكفي ، وتذكرت حديثها مع الشاب ، انه ممثل بارع ولا شك ، وكان على حق فيما قال ، إنه رجل وطني ، يخدم دولته ، وقد يقدره الانسان لهذا السبب ، ولكنه يحطمه أيضاً ، ووجدت

توبنس نفسها تقول :

– كم يؤسفني ذلك !

– وأنا أيضاً ، انه شاب طيب ، ولكن ..

– إن هذا هو ما نقوم به بالضبط لو كنا في ألمانيا ، ومهما كان الأمر فقد عرفنا على الأقل طرف الخيط ، إن كارل يعمل بالاشتراك مع شيلا وأمها ، وربما تكون مسز برينا هي المرجع الأول ، ثم هناك تلك السيدة الغريبة التي كانت تحادث كارل .

– ماذا نفعل الآن ؟

– يجب أن نزور غرفة مسز برينا ، فربما وجدنا بها ما يهمنا ، كما يجب أن نتعقبها لنعرف أين تذهب ، ومن تقابل ، تومي .. هيا نستدعي البرت ليساعدنا ..

– آه ، البرت ، إنها فكرة ، وسأرى إذا كان ذلك ممكناً .

كان البرت يعمل منذ سنوات في أحد الفنادق .. ثم انضم إلى إدارة الأمن العام ، ثم عمل تحت إمرة آل برسفورد طوال السنوات الماضية ، ولما اعتزلوا العمل تركه هو الآخر ، وافتتح حانة صغيرة في جنوب لندن .

وقالت توبنس :

– إن البرت سيدهش عندما نستدعيه ، دعه يستأجر غرفة في فندق المحطة ، ومن هناك يستطيع أن يقتفي أثر من نريد .

– هذا جميل ، خاصة لأنني أرى استحالة إمكاننا مراقبة من نشتبه فيهم من سكان سان سومي ، أما البرت فان أحداً لا يعرفه ، ثم يجب أن نبذل جهداً كبيراً لكشف القناع عن نشاط تلك المرأة البولندية التي تقولين إنها كانت تحادث كارل ، إذ يخيل لي انها حلقة الاتصال بين كارل والجانب الآخر من العصابة .

– طبعاً ، طبعاً ، فهي إما ان تأتي إلى هنا لتبلغ الأوامر أو لتتسلم رسائل

وتقارير ، وأرجو أن نوفق الى اقتفاء أثرها عند رؤيتها ثانية .

– ثم لا تنس أن علينا زيارة غرفة مسز برينا والسيد كارل ..

– لا أظن أننا سنجد شيئاً هاماً في غرفة كارل ، ولا تنس أنـه ألماني ، والمفروض أنه معرض في أية لحظة لمهاجمة رجال البوليس ، والمعقول أنه لا يحتفظ لديه بأي شيء يثير الشكوك ، أما دخول غرفة مسز برينا ، فهـو من الصعوبة بمكان ، وبخاصة ان ابنتها تحتل الغرفة في حالة غياب أمها ، ثم لا تنس أن بتي وأمها تنتقلان طوال النهار في كل مكان من الفيـــلا ، وكذلك مسز أوروك التي تقضي معظم وقتها في غرفتها ، وبابها مفتـوح على مصراعيه .

– أظن وقت الغداء هو أنسب الأوقات .

– كما استغله السيد كارل ؟

– نعم .. وأستطيع مثلا إدعاء إصابتي بصداع فجـائي ، ثم أذهب الى غرفتي ، ولكن لا .. إذ ربما يتطوع بعضهم لمرافقتي وتمريضي ، إذن يحسن أن انسحب إلى غرفتي في هدوء قبيل موعد تناول الغداء، دون أن أكلم احداً، واذا سئلت بعد ذلك اقول انه الصداع الذي احتجزني ؟

– من الأصوب أن أقوم أنا بهذه المأمورية ، فمن السهـــل علي أن أدعي البحث عن قرص من الأسبرين اذا رآني أحد ، أما وجود سيد محترم يعبث في غرفة مسز برينا فانه أمر يدعو الى الاشتباه .

– تعنين انه يؤدي الى فضيحة ، وهو كذلك ، إنمـا يجب الإسراع ، فكما علمت اليوم ، يظهر أن هناك أنباء سيئة .

ثم تركها تومي ، وسار حتى مكتب البريد ، ومنه اتصل تليفونياً بمستر جرانت وقال له ان العملية الأخيرة تمت بنجاح ، وان « ك » غـارق فيها إلى أذنيه ، وبعد ذلك كتب تومي الى البرت ثم اشترى احدى المجلات وعاد الى سان سوسي .

وفيما هو في طريقه إلى الفيلا سمع صوت الكوماندوز هايدوك المرح يناديه من سيارته الصغيرة ويعرض عليه أن يوصله إلى حيث يريد .

فصعد تومي إلى السيارة شاكراً ،وقال هايدوك :

– سمعت انك أصبت بنزلة برد ؟

– كانت مجرد انفلونزا عارضة .. وهي تصيبني في مثل هذا الوقت من كل عـام .

– ولكنك الآن أحسن حالاً ، هل لك في لعب الجولف ؟

– طبعاً .

– إذن موعدنا غداً في الساعة السادسة .. إذ اني ذاهب في الصباح لحضور اجتماع مقاومة من يهبطون بالبراشوت ، انه واجبي كما تعلم .

– وهو كذلك ، وشكراً .

وكانا قد وصلا إلى ابواب سان سوسي ، فسأله هايدوك :

– ميدوز ، كيف حال شيلا الجميلة ؟.

– بخير على ما أظن ، فاني لا أراها كثيراً .

– ها .. ها .. لا تراها كثيراً ؟. انها فتاة جميلة ، ولكنها نفور ، وأظنها تقابل ذلك الفتى الالماني كثيراً ، ضاعت الوطنية ، ثم لم يبق لها حاجة بالمسنين أمثالي وأمثالك ، ومع ذلك فهناك شبان من رجالنـا على كثير من الرشاقة ، يقبلون على الترقية عنها ، ولكني لست أدري لم تترامى بين أحضان هذا الألماني الفظ .

– على رسلك ، انه قادم .

– ليس يهمني في كثير او قليل ان يسمع ما أقول .. وكم أود ان ألهب ظهر السيد كارل بالسياط فان أقل الماني يدافع الآن عن بلاده ولا يتسكع هنا رعباً من القتال .

وهكذا اتضحت وطنيـــة الكوماندوز هايدوك وهو يدور بسيارته إلى

(استراحة المهربين) .

أما توبنس فقد وصلت إلى ابواب سان سوسي الخارجية في الساعة الثانية إلا عشرين دقيقة ، وسارت في ممرات الحديقة حتى وصلت إلى باب حجرة الانتظار ووقفت لحظة حتى مرت الخادمة عبر الممر ، ثم سارعت فصعدت الدرج بعد أن خلعت حذاءها ولبست خفاً وسارت فوراً إلى حجرة مسز برينا ، وهناك اعتراها ضيق شديد .

فهذه العملية التي تقوم بها ليست محببة إلى النفس ، ولكنها عادت فذكرت انها الحرب ، وسارت قدماً إلى منضدة التواليت ، وفي سرعـــة عالجت فتح جميع الأدراج إلا واحداً وجدته مغلقاً .. لعله هذا .. وكان معها بضع أدوات استعارتها من تومي لانهاء هذه المهمة ، وفتح الدرج .

وجدت فيه نحو عشرين جنيهاً ورقاً ، وبضع نقود فضية ، وحقيبـــة بها مجوهرات وحزمة من الأوراق ، فبدأت تفحصها واحدة واحدة في عجلة .. فليس لديها فرصة للتأمين الطويل ، رأت عقد شراء سان سوسي ، فواتير ، حسابات البنك كمية من الخطابات . ومر الوقت سريعاً ، قرأت خطابين من صديق في ايطاليا ، ليس فيهما شيء .. وخطاباً من سيمون مورتيمر في لندن ، وغيره وغيره . ثم خطاباً من . « بات » وقرأت فيه : هذا آخر خطـــاب أكتبه لك يا عزيزتي ايلين .. ولم تستطع توبنس متابعـــة القراءة فأعادت الخطاب كما كان بعد ان طوته في عجلة وردته إلى مكانه من الدرج .. وفتح الباب .. ودخلت مسز برينا متجهة إلى رف عليه بضع زجاجات .

ودارت توبنس وواجهت صاحبة الغرفة :

— أوه . مسز برينا .. أرجو ألا تؤاخذيني ، لقد دخلت حجرتك تحت تأثير صداع عنيف . لأبحث عن قرص من الأسبرين .. فقد ضاعت انبوبتي .. وكنت متأكدة ان لديك من هذا النوع . فقد سمعتك تقولين ذلك لمس منتون ..

وشملت مسز برينا الغرفة بنظراتها ثم قالت في حدة :

– طبعاً ، لدي منه كثير ، ولكن على أي حال .. لماذا لم تأتي الي وتطلب مني ؟

– كان ذلك واجباً ، ولكني اعلم انكم تتناولون طعام الغداء ، ولم أر من المناسب ان ازعجكم .

فمرت مسز برينا أمام توبنس واتجهت إلى أحد الرفوف وتناولت زجاجة الأسبرين وقالت :

– كم تريدين ؟

وأجابت مسز بلنكنسوب يكفيني ثلاث .

وسارت فوراً نحو حجرتها ، وطلبت من الخادمة بضع زجاجات من الماء الساخن .

وقالت مسز برينا :

– اذكر ان لديك كمية كبيرة من الاسبرين ، في منضدة الزينه .

– لست ادري اين وضعت الأنبوبة ، فقد بحثت عنها ولم اجدها !

– آه .. إذاً اذهبي واستريحي حتى موعد تناول الشاي .

وعادت توبنس إلى غرفتها ، واستلقت على سريرها متوقعة دخول مسز برينا بين لحظة وأخرى ، رغم ان مسز برينا قابلت وجود توبنس في غرفتها ببساطة ، الا ان توبنس حسبت حساب الدرج الذي فتحته ، ولم تجد فرصة لإعادة غلقه .. كما ان الأوراق لم تنتظم كما كانت ..

واخذت توبنس تطمئن نفسها ، لو شكت مسز برينا في اضطراب حاجاتها ، فستشك في الخدم لا في مسز بلنكنسوب المحترمة ، وحتى إذا شكت فيها فستعتقد انها ما عبثت في الغرفة إلا تحت تأثير حب الاستطلاع المجرد عن الغرض .

ولكن .. إذا كانت مسز برينا هي تلك الجاسوسة التي يرمزون لها بحرف « م » فلا بد أنها سترى في مسز بلنكنسوب ، رقيبة عليها .. وفجأة تذكرت توبنس أنها لم تذكر لمخلوق المكان الذي وضعت فيه انبوبة الأسبرين الخاصة بها .. فقد كانت في الدرج الذي تحتفظ فيه بخطاباتها الخاصة ، اذن لا بد ان هناك من يعبث بغرفتها ..

ودقة بدقة !

الفصل السابع

سافرت مسز سبروت في اليوم التالي إلى لندن ، وتركت بيتي في عنـاية سكان سان سوسي بعد أن نبهت على الطفلة بعدم إزعاج أهل الدار ، وتعلقت بتي بتوبنس لتلاعبها ، ومنعت الأمطار الشديدة خروجها للنزهة ، فلجأ إلى حجرة نوم الفتاة واتجهت بتي إلى حيث تحتفظ بلعبها ، فسألتها توبنس أي هذه اللعب تفضل فقالت بتي :

- احكي لي حكاية ..

فجذبت توبنس أحد الكتب .. ولكن الطفلة صاحت :

- لا .. لا .. هذا قذر .

وعجبت توبنس ونظرت إلى عنوان الكتاب ثم سألت بتي :

- هلا تعجبك أحلام ساندريلا ؟

- كلا .. انه قذر .

وتناولت بتي الكتاب وأعادته إلى مكانه وسحبت كتاباً آخر من نهـاية الرف وكان بنفس العنوان ! فأدركت توبنس أن الكتب القديمة أهملت ، وان مسز سبروت اشترت مجموعة جديدة للطفلة .. انها من تلك الأمهـات اللاتي يتطيرن من القذارة .. ويخشين على أطفالهن من عواقبها ، وأخذت بتي تعبث بالكتاب ، ثم أعادته وتناولت غيره ثم غيره ، وكانت بتي تختطف الكتب

من توبنس وتخبئها وتحاول هذه العثور عليها ، وهكذا انقضى الصباح دون أن تشعرا بمرور الوقت ..

وبعد الغداء ذهبت بتي إلى سريرها ، واستدعت مسز أوروك توبنس إلى غرفتها ، وكانت غرفة ضل النظام طريقه اليها ، تفوح فيها روائح النعناع والنفتالين .. وانتثرت فيها الصور بغير نظام ، صور أبناء وأبناء وأخوة ، وأبناء أخوة مسز أوروك ، حتى خيل لتوبنس أنها في معرض للصور قيم في العصر الفيكتوري . وقالت مسز أوروك :

– ان لك طريقة عجيبة في معاملة الأطفال يا مسز بلنكنسوب .

– ان ذلك يرجع الى طول المدة التي ربيت فيها ولدي .

– ولديك ! سمعت أنهم ثلاثة ..

– آه طبعاً ! انهم ثلاثة .. نعم ثلاثة . ولكن أعني ولدي المتقاربين في السن فقد كنت أقوم بتربيتهما ، وهما في هذه السن تقريباً معاً . هذا ما قصدت ..

– آه .. اجلسي يا مسز بلنكنسوب واعتبري نفسك في غرفتك ..

وأحست توبنس بنوع من الضيق الذي يحسه المرء وهو في زيارة احدى الساحرات .

وقالت مسز اوروك أخيراً

– والآن يا عزيزتي .. ما رأيك في سان سوسي ؟

فأجابت توبنس بكلام عام .

ولكن مسز أوروك قاطعتها بقولها :

– أود ان اسألك ما إذا كنت قد لاحظت شيئاً غريباً في سان سوسي ؟

– شيئاً غريباً ؟ كلا لم ألحظ ..

– حتى ولا عن مسز برينا ؟ فقد ادركت أنك تراقبينهـا .. بل انك تشددين الرقابة عليها ..

واحمر وجه توبنس ، ولكنها تمالكت نفسها وقالت :

- انها . انها .. سيدة حلوة المعشر !

- إذن هي ليست ، اعني أنها سيدة مجتمعات ، اذا كان الظاهر كالباطن ولكن إذا لم تكن .. أهذا هو رأيك ؟

- الواقع يا مسز أورورك انني لا أفهم ، سيدة مجتمعات ، تتظاهر .. لم تكن ، ماذا تعنين ؟

- ألم يخطر ببالك يوماً ان أية واحدة منا قد تكون فعلاً خلاف ما تتظاهر به أمام الناس ؟ فالمستر ميدوز مثلاً ، يبدو لي انه رجل غريب التصرفات ، فأحياناً اراه يمثل الرجل الانجليزي الغبي المحدود الأفق ، واحياناً اسمع منه كلمة أو ارى منه ما يدل على انه ابعد الناس عن الغباء ، الا ترين في هذا غرابة ؟

فأجابت توبنس بحزم :

- أوه ، انني لا أرى في مستر ميدوز إلا انموذجاً للرجل العادي ..

- إذن هناك غيره ، واظن انك تعرفين واحداً منهم على الأقل !

فهزت توبنس رأسها نفياً !

فعادت مسز اورورك تقول :

- ان الاسم الذي أقصده يبدأ بحرف « ش » .

- ولم تستطع توبنس أن تتمالك أعصابها أكثر من ذلك ، وظهرت عليها امارات الغضب ، فقد خيل اليها أنها في موقف استجواب ، وان عليها أن تدافع عن شيء عزيز عليها .

فقالت في حدة :

- ان كنت تقصدين شيلا فهي فتاة طائشة ثائرة . وقد كنا جميعاً كذلك في مثل سنها !

- لا .. لا .. لا .. ليست هذه من أقصد ، هلا تعلمين ان اسم مس

منتون الأول (شيرلي) . .

- أوه .. تقصدين مس منتون ؟

- لا .. ليس هذا ما أقصد ، ولكن !

ولم تقو توبنس على احتمال الموقف اكثر من ذاك ، ان هذه السيدة تتلاعب بها كما يتلاعب القط بالفأر ، فقامت توبنس من مكانها واتجهت نحو الشرفة تراقب نزول المطر وقد تضاربت الأفكار في رأسها ، فكيف تتخلص من موقفها هذا ؟ بل وكيف سمحت لنفسها أن تقع في هذا الشرك ، وتوقف تفكيرها لحظة !

رأت خلال النافذة التي يتساقط عليها المطر أوراق الأشجار تنفرج ، وتظهر من خلالها تلك المرأة التي كانت تحادث كارل فون دينيم منذ أيام .. وكانت تتلفت يمنة ويسرة بعينين جامدتين لا حياة فيهما ، حتى خيل لتوبنس انها تمثال يتحرك . وكانت تتطلع وتتطلع الى نوافذ سان سوسي ، وليس في نظراتها أي معنى !.

رباه .. بل هناك معنى وضح كل الوضوح ، إنها نظرات مجنون ، وطافت برأس توبنس خيالات عديدة . ان هذه المرأة تمثل الأشباح تسكن البيوت المهجورة !

واستدارت توبنس لتواجه مسز أوروك وغمغمت بضعة الفاظ ثم اندفعت سريعاً من باب الحجرة ، ونزلت الدرج ، فالحديقة ، فالطريق ، إلى قمة التل ، فلما وصلت كانت المرأة قد اختفت ، فعادت توبنس من جديد إلى الحديقة وأخذت تجول فيها .. بين الشجيرات غير عابئة بما أصابها من هطول الأمطار ..

وكانت تقتفي آثار أقدام المرأة الغريبة متوقعة ان تقودها هذه الآثار إلى حيث اختفت فجأة .. وقادتها الآثار إلى أبواب الفيلا ، فأحست توبنس باختناق لم تدر له سبباً ، وشعرت أن نكبة ما وشيكة الوقوع فقد حدثها

انقباض قلبها بذاك ، ولكنها لم تستطع أن تخمن ما هي هذه النكبة ، وما كان يخطر ببال مخلوق أن يخمن .

وبعد ان اعتدل الجو وانقطع هطول الأمطار ، ساعدت مس منتون بيتي على ارتداء ملابس الخروج ، استعداداً للنزهة في المدينة القريبة ، ولتشتري مس منتون لبيتي أوزة من البلاستيك ، وكانت بتي تصيح في أرجاء الدار جزلة ..

ولاحظت توبنس عندما دخلت من باب الدار أن هناك عودين من الثقاب قد القيا على المنضدة التي تتوسط الردهة الخارجية في غير عناية ، فعرفت ان مستر ميدوز يقضي وقته في مراقبة مسز برينا ،، فاتجهت توبنس إلى حجرة الانتظار ووجدت مستر ومسز كايلي ، وكان زوجها في حالة يرثى لها .. يشكو من الصجيج الذي تحدثه الطفلة ويقول انه لم يأت الى سان سومي إلا هرباً من الضجيج .

فقالت توبنس :

– من الصعب التحكم في الأطفال وهم في هذه السن ..

– هه ، هذا كلام لا معنى له ، انها آفة العصر الحديث ، ان يترك الأطفال يعبثون كما يحلو لهم .

فقالت توبنس تغير مجرى الحديث :

– اود ان تحدثني عن رأيك الخاص في طرق المعيشة في المانيا ، فقد سمعت انك قمت برحلات إلى بلاد كثيرة ..

– انني كما تقولين يا سيدتي العزيزة ، رجل ذو تجارب وخبرة ، وفي رأيي انه يجب ان تتفاهم بريطانيا والمانيا ، فالنظام النازي في رأيي هو خير الأنظمة الصلاحية للبلدين .

وقطع الحديث دخول مس منتون تتبعها الطفلة حاملة اوزتها الجديدة ! وما هي الا لحظات حتى اعد الشاي ، وفي تلك الفترة رؤيت مس سبروت

داخلة ، بعد عودتها من لندن ، وهي تقول :
- ارجو الا تكون بتي قد ازعجت احداً ..
ثم وجهت الحديث للطفلة
– كيف قضيت الوقت يا بتي ؟
– قذر !

ولم يعلق احد على رد الطفلة ، اذ كان مفهوماً انها لا تعني مـا تقول ، واخذت مسز سبروت تتحدث عن مشترياتها من لندن خلال احتسائها الشاي ، وانتقل الجميع الى الشرفة ، فقد بدأت الشمس تتسرب من تحت الغيام ، وكانت بتي تملأ الجو بدعاباتها وجريها في كل مكان ، واستمر الحال كذلك ، والنزلاء يتحدثون عن الاشاعات وما ينتظر ان يحدث حتى قطعت مسز سبروت الحديث فجأة قائلة :

- يا للسماء ! انها السابعة الآن ، كان يجب ان تنام الطفلة منذ ساعات بتي .. بتي .. بتي

ولم يكن احد يلحظ غياب الطفلة في اثناء الحديث .
وعادت مسز سبروت تصيح وقد تزايد قلقها :
– بتي ، اين انت ؟
وقامت مسز سبروت تبحث عن الطفلة !
وقالت مسز منتون ان الطفلة لا بد ان تكون في مكان ما !
وقالت توبنس : لا بد انها اختبأت في المطبخ ، إذ كان اطفالها يختبئون فيه ..

ودار البحث في كل مكان ، ولكن بدون جدوى ، فقد اختفت الطفـلة اختفاء تاماً !

وظهر الغضب على وجه سبروت ، وقالت :
– ربما تكون قد خرجت من الفيلا ؟

فخرجت توبنس مع مسز سبروت ووقفتا تتلفتان هنا وهناك ، ولكنهما لم يريا سوى صبي على دراجة يحادث خادمة الفيلا المواجهة لسان سوسي ، فقد تقدمت توبنس نحو الصبي وسألته اذا كان قد رأى فتاة صغيرة تخرج من الفيلا ، فأجابت الخادمة :

– اهي تلبس فستاناً قصيراً اخضر اللون ؟ رأيتها منذ نحو نصف ساعة ، تسير في هذا الطريق مع سيدة .

– سيدة ! اي سيدة !

– انها سيدة ، غريبة الهيئة .. وعلى كتفيها شال رخيص ، فخيل الي انها احدى المتسولات ، واني اذكر اني رأيتها اكثر من مرة تحوم حول هذا المكان ..

وتذكرت توبنس فوراً ، ذلك الوجه الذي رأته يتلصص بعد الظهر في الحديقة ولكنها لم تكن ترى علاقة بينه وبين بتي ، ولم تترك مسز سبروت لها فرصة للتفكير اكثر من ذلك فصاحت :

– بتي .. عزيزتي بتي .. طفلتي .. لا بـــد ان تكون تلك المرأة إحدى الغجريات !

فردت توبنس على الفور :

– لا .. لا .. ان وجهها لا يدل على ذلك ! فهي جميلة ، ولا يمكن ان تكون من الغجريات !

فنظرت اليها مسز سبروت في عجب ودهشة ، مستفسرة .

فقالت توبنس :

– رأيت هذه المرأة بعد ظهر اليوم ، تتلصص خلال شجيرات الحديقة ، كما اذكر انني لمحتها مرة قبل ذلك ، تحادث كارل فون دينيم ، نعم لا بد أن تكون نفس المرأة .

وقالت الخادمة تؤكد كلام توبنس

– نعم ، نعم .. انها نفس المرأة ، ان شعرها الأشقر لا ينسى .

فصاحت مسز سبروت :

– اواه ، يا ربي ماذا افعل ؟

فقالت توبنس وهي تضع ذراعها في ذراع مسز سبروت :

– تعال الى الفيلا لنطلب البوليس .

فسارت مسز سبروت معها وهي تقول :

– لا أدري كيف رضيت بتي ان تسير هكذا مع الغرباء ، دون ان تصيح ..

– انها صغيرة جداً كما تعلمين . وقد تكون المرأة مخبولة ..

وكانت توبنس تقول هذا لتخفف وقع الصدمة على مسز سبروت اذ كانت تعلم ان المرأة الغريبة في كامل قواها العقلية ، وقد شكت في ان يكون لكارل علاقة بحادث الاختطاف هذا ، وقد تبددت شكوكها لما اقسم كارل ان لا علم له بأي شيء عن هذا الموضوع ، وقد استغربه كما الجميع ، وبعد ان شرحت توبنس كل ما تعلم قال الماجور بلتشلي موجهاً حديثه لمسز سبروت :

– لا تقلقي يا سيدتي ، سأذهب حالاً الى مركز البوليس

فقالت مسز سبروت :

– انتظر لحظة ، فقد تكون هناك ..

ثم جرت مسرعة الى غرفة بتي ، وعادت وهي تلهث وهجمت على الماجور بلتشلي وخطفت سماعة التليفون من يده وهي تقول :

– لا ، لا .. لا تبلغ البوليس .. يجب الا نبلغ البوليس !

وتهاوت على أحد المقاعد وهي تبكي ، فالتف الجميع حولها ، وقد اشتد بهم العجب ، يحاولون تهدئتها ، وبعد لحظات قالت بصوت خنقته العبرات وهي ترفع شيئاً في يدها :

– وجدت هذه ، في حجرتي .. كانت مربوطة الى قطعة من الحجر ، انها انذار لي

فتناول مستر ميدوز الورقة وقرأ فيها :،

« لقد وضعنا يدنا على طفلتك ، وسنخبرك فيما بعد بما تفعلين ، ولكن . إذا اتصلت بالبوليس ، سنقتل الطفلة .. اقفلي فمك ، وانتظري تعليماتنا ، وإلا .. »

وكانت موقعة بجمجمة وعظمتين متقاطعتين

وتكلم الجميع في نفس الوقت :

– القتلة المتوحشون !. الوحوش !.

ولكن صوت الماجور بلتشلي علا جميع الأصوات وهو يقول :

– كلام فارغ ، مستحيل. يجب أن أبلغ البوليس حالاً ، فهو وحده الذي يستطيع أن يضع حداً لهذه المهزلة .

وتحرك ثانية متجهاً إلى آلة التليفون ، ولكن مسز سبروت صرخت ، فصاح بها :

– يا سيدتي العزيزة .. لا بد من ذلك ، فما هذا الانذار إلا حيلة مبتذلة لمنعنا من اقتفاء أثر الخاطفين السفلة .

– سيقتلونها .

– مستحيل .. إنهم لا يجرؤون .

– اني لا أسمح .. أنا أمها ، وانا التي أقرر .

– أنا فاهم . فاهم . ولكن استمعي إلى نصيحتي ، يا سيدتي ، فتبليغ البوليس هو الحل الوحيد ، ألا توافقني يا مستر ميدوز ؟

فهز تومي رأسه ايجابياً ، وعاد بلتشلي يقول :

– وأنت يا كايلي ؟ إذن انظري يا مسز سبروت .. ميدوز وكايلي يوافقاني .

– آه ، نعم ، كلكم رجال ، إسأل السيدات .

فقالت توبنس على الفور :

– إني مع مسز سبروت .

وقالت مسز أورك :

– لن تجد اماً واحدة توافقك ..

وعادت توبنس تقول :

– وأنت يا سيد كارل ؟. اننا لم نسمع رأيك بعد .

فأجاب كارل بتوءدة :

– إنني أجنبي كما تعلمون . ولا أعلم شيئاً عن نظام بوليسكم ، ومـــا اذا كان جديراً بهذه المهمة .

ودخلت مسز برينا في تلك اللحظة ، فسألت :

– ماذا حدث ؟

وسمعت القصة من الجميـع ، فقالت في لهجة آمرة وكأنها سيدة الموقف :

– لا أوافق على الالتجاء الى البوليس مطلقاً، ان له طرقه العقيمة الملتوية، ولكني أرى ان تبحثوا عن الطفلة بانفسكم .

وقال بلتشلي ثانية :

– انها فكرة ، هيا بنا ، ولا أعتقد انهم ابتعدوا كثيراً .

فقالت مسز سبروت :

– تريد سيارة ، فلنتصل بهايـدوك هوفن ، فلديه سيارة ، هيـا بنا ، وسنستطيـع اقتفاء أثر تلك المرأة بلا شك ، وسآتي معكم .

– لا يا سيدتي ، لا لزوم لمجيئك ، اتركي الأمر لنا .

– مستحيل .

وما هي إلا ثوان ، حتى كانوا قد اتصلوا بهايدوك .. فحضر بسيارتـه على الفور ، وجلس تومي الى جواره ، وجلس المـــاجور بلتشلي ومسز

سبروت وتوبنس في المقعد الخلفي ، وقبـــل أن تتحرك السيارة ، عادت مسز سبروت الى الفيلا ، وغابت لحظة ثم رجعت ، ولما استفسرت منها توبنس عن سبب صعودها ، فتحت حقيبة يدها وأرتها مسدساً صغيراً .. وقالت :

– أتيت بهذا من غرفة الماجور بلتشلي ، وكنت سمعت منه يوماً أن لديه مسدساً وأعتقد أنه يفيدنا الآن .

وفكرت توبنس في عواطف الأمومة ، ان المرأة قد تجزع عنـــدما ترى سلاحاً ولكنها لا تتوانى عن استعماله اذا هدد فلذة كبدها خطر .

وسارت السيارة ، الى محطة السكة الحديـــد ، كما اقترح الكوماندور هايدوك ، اذ ان قطاراً قد قام منذ عشرين دقيقـة ، ويرجح أن يكون الخاطفون قد ركبوه ، وعندما وصلوا الى المحطة بدأوا تحرياتهم كل في جهة ، وعاد الجميع الى السيارة دون جدوى ، وقال هايدوك :

– لا بد أن الخاطفين كانوا قد أعدوا سيارة وأرسلوا تلك المرأة، لتختطف الطفلة ثم ساروا بها الى مكان مجهول .

فقالت توبنس :

– اذن ، لنضع أنفسنا في مركز الخـــاطفين .. اين تظنون انهم كانوا ينتظرون بالسيارة ؟ في مكان مـــا قريب من سان سوسي ، ولكن أي مكان يصلح لاخفـاء سيارة لا تجتذب اليها الأنظار ، فلنر ! لقد سـارت المرأة مع بتي ، وانحدرتا مع التل ، وهناك في بطن التـل ، مكان يصلح لمثل ذلك .

وفي تلك اللحظة تقدم اليهم رجل قصير القامة يبدو عليه التردد والاحجام، يعرج قليلا في مشيته وقال :

– لا تؤاخذوني فقد استمعت عرضاً الى حديث السيد، وهي صدفة غريبة اذ يخيل الي انني رأيت الطفلة التي كان يسأل بواب المحطة عنها .

فصاحت مسز سبروت :

– تقول انك رأيتها ، أين ؟

– كانت مع سيدة غريبة المنظر .

– أين سارتا ؟

– في هذا الاتجاه ، تجاه القمة .

فقال هايدوك وهو يجلس الى عجلة القيادة ويدير المحرك :

– تقول انها كانت تسير تجاه القمة ، أليس كذلك ؟

– نعم .. عبر الميدان الكبير .

قفز الباقون الى السيـــارة ، قبل أن يستكملوا الاستماع الى بقية حديث الرجل ، وسارت السيارة مسرعة في شوارع البلدة ، حتى وصلت الى ميدان فسيح وهناك قال الماجور بلتشلي :

– الأفضل أن ننزل هنا ، ونصعد إلى القمة سيراً على الأقدام .

فأجاب هايدوك :

– هذا معقول جداً ولكني سأبذل جهدي لأصعد المنحدر بالسيارة رغم أن في ذلك مخاطرة ، ولكن .

فقاطعته مسز سبروت قائلة :

– نعم ، نعم .. أرجوك أن تصعد ، فقد تأخرنا ، ويجب أن نسرع حتى نلحق بهما .

فقال الكوماندور كما لو كان يحادث نفسه :

– أرجو أن نكون وراء أثر صحيح ، لا أن يكون ذلك القزم قد رأى إمرأة أخرى .. معها طفلة .. ومع ذلك .. فلست أرى لهما أي أثر .

وصعدت السيارة ترحف حتى وصلت الى القمة ، ثم أخذت تنحـدر ، فتوقف هايدوك لحظة وتناول منظاره المعظم ، الذي لا يفارقه ، وأخذ ينظر

فيه لحظات في كل اتجاه ثم صاح قائلا :

– ها هما !. انني أراهما ، هناك .

ونظر الجميع الى حيث يشير ، كانت هناك نقطتان سوداوان في الأفق البعيد تتحركان .

وعادت السيارة تنهب الأرض من جديد ، وبدأت المطاردة ، فرأوا النقطتين تنكشفان رويداً رويداً .. انها شبحان ، أحدهما طويل ، والآخر قصير ، إنهما يتضحان قليلا ، سيدة تجر وراءها طفلة ، نعم .. إن الطفلة ترتدي ثوباً أخضر اللون .. إنها .. إنها بتي .. وصاحت مسز سبروت .

وقال الماجور بلتشلي وهو يصفق :

– ها نحن قد وصلنا اليهما .

وفجأة أحست المرأة بدنو السيارة منها ، فصرخت ورفعت الطفلة محتضنة إياها ، وأخذت تجري بها نحو المنحدر .

فتوقفت السيارة ، إذ أنها لا تستطيع أن تتبعها في ذلك الطريق الوعر ، وخرج ركاب السيارة منها ، وكانت مسز سبروت أولهم . وبدأت تجري نحوهما ، حتى أصبحت على بعد عشرين خطوة منها ، فتوقفت .

كانت المرأة ممسكة بالطفلة بين ذراعيها وقد وقفت على حافة المنحدر ، فصاح هايدوك :

– رباه .. أخشى أن تقذف بالطفلة إلى الهاوية .

ووقفت المرأة ، وقد تجسم الحقد في عينيها ، وصاحت بكلمات لم يفهمها أحد ، وأخذت تنظر الى الهاوية حيناً ، والى المهاجمين حيناً آخر ، وكان واضحاً انها تهدد بقذف الطفلة في الهاوية .

فوقف الجميع مبهوتين ، وقد أقلقهم الرعب ، دون أن يستطيعوا الحركة

خوفاً من الفاجعة المنتظرة ، ومد هايدوك يده الى جيبه وأخرج مسدساً ضخماً وصاح :

– أنزلي الطفلة أو أطلق النار .

فضحكت المرأة الغريبة ، وزادت احتضانها للطفلة حتى أصبحتا كأنهما جسد واحد ، فغمغم هايدوك :

– إني لا أستطيع إطلاق النار خشية إصابة الطفلة .

وقال تومي :

– هذه المرأة مخبولة بلا شك ، وأتوقع أن تقفز هي والطفلة الى الهاوية بعد لحظة .

وفي تلك اللحظـــة ، دوى صوت طلق ناري ، فترنحت المرأة ، ثم سقطت ، ولا تزال الطفلة بين ذراعيها .

وجرى الرجال الى حيث سقطت ، بينما وقفت مسز سبروت تترنح ، وفي يدها المسدس يتصاعد الدخان من فوهته ، ثم خطت بضع خطوات الى الأمام .

ركع تومي الى جوار الجسدين ، فرأى وجه المرأة ، وكانت عيناهـا مفتوحتين ، وقبل أن تنبس بحرف شهقت الشهقـــة الأخيرة ، وتراخت ذراعاها ، فتخلصت منها بتي ، وجرت نحو مسز سبروت التي كانت قـد تصلبت أعضاؤها ، كأنها تمثال ، فرمت المسدس بعيداً ، ثم صاحت وهي تعانق الطفلة :

– إنها سليمة ، سليمة .. بتي ، بتي العزيزة .

ثم همست في جزع :

– هل .. هل ماتت ؟ هل قتلتها ؟

فقالت توبنس في عزم :

– لا تفكري فيها الآن ، فكري في بتي العزيزة .

فأخذت مسز سبروت تنشج في صوت مبحوح وسارت توبنس الى حيث وقف الرجال وكان هايدوك يقول :

– إنها معجزة دامية ، وأعترف انني لا أستطيع إصابة مثل هذا الهدف ، واني لا أتصور ان مسز سبروت سبق لها استعمال المسدس قبل هذه المرة ، انها معجزة الغريزة لا أكثر ولا أقل .

وقالت توبنس :

– الحمد لله ، فقد نجت الطفلة على كل حال .

الفصل الثامن

وبعد أيام . بدأ التحقيق في حادث مصرع المرأة الغريبة ، بعد ان قام البوليس بتحرياته ، لتحقيق شخصيتهـــا ، وعرف انها تدعى واندا بولونـكا ، من اللاجئين البولنديين .

وكانت مسز سبروت قد نقلت بالسيارة إلى سان سوسي ، بعد وقـوع الحادث محطمة الأعصاب ، وقد تعاون الجميع على الترفيــه عنها ، بمختلف الوسائل ، واتصل الكوماندور هايدوك بالبوليس ، وأرشـدهم الى حيث وقعت المأساة ، ولولا اهتمام الصحف بالأخبار الحربية لاحتل هذا الحادث أبرز مكان فيها .

واتخذ التحقيق مجراه العادي ، فاستدعيت السيدة كالمفنت ، المشرفـة على شؤون اللاجئين في تلك المقاطعة ، فأدلت معلوماتها عن واندا بولونـكا وتتلخص في انها كانت من عائلة بولندية ، قتل النازيون كل أقاربها ، وانها كانت تشبه مخبولة ، وأن سلوكها كان موضع شبهة ، فقد وجد معها مال كثير بالنسبة الى من في مركزها ،وقد ظهر من مراقبتها انها ليست ممن يضمرون الخير لبريطانيا .

أما مسز سبروت ، فقد غرقت في دموعها ، عندما استدعيت للتحقيق ، وكان المحقق رفيقاً بها ، وقد فسرت بما حدث انه كان بلا وعي منها .

وسألها المحقق عما إذا ما كانت قد اعتادت استعمال الأسلحة النارية، فأجابت بالنفي ثم نفت معرفتها بالمرأة القتيل قبل الحادث .

أما هايدوك ، فقد أدلى بكل ما قام به في عملية المطاردة ، ولما سأله المحقق عما إذا كان متأكداً من أن المرأة قد بـــدا عليها نزوع للقفز الى الهاوية أجاب :

– إما أنها كانت تنوي ذلك ، أو على الأقل أن ترمي بالطفلة فذلك ما أعتقده ، وقد خيل إلي أن الحقد متجسم في نظراتها . وقـــد فكرت شخصياً في إطلاق النار عليها ، ولكنها كانت قد اتخذت من الطفلة درعاً ، وقد تحملت مسز سبروت المسؤولية فأنقذت الطفلة .

وأخذت مسز سبروت تتشنج من جديد .

أما شهادة مسز بلنكنسوب ، فكانت قصيرة ، ولم تخرج عما أدلى به الكوماندور .

وتلا ذلك مستر ميدوز ، وقد أمن على الأقوال السابقة .

وبعد انتهاء التحقيق ، اعتبر المحقق أن الحادث تم تحت تأثير ظروف قاهرة ، لا حيلة للفاعلة فيها ، وان القتل وقع فعـــلا ، ولكن دون سبق إصرار أو ترصد أو حتى تفكير فيه ، وهكذا اعتبرت مسز سبروت غـــير متحملة مسؤولية ما فعلت .

وفي اليوم التالي ، تقابل مستر ميـــدوز ، ومسز بلنكنسوب ، ودار بينهما حديث طويل ، عن تلك القضية الغريبة ، التي فاجأتهما ، وقـــال تومي :

– إن مجرى الحوادث ، من كل ناحية ، لا يعجبني مطلقاً .

وقد وافقته توبنس ، فقد كان الجيش الفرنسي ، يتراجع بدون توقف ، وكان الجلاء عن دنكرك على أشـــده ، كما كان سقوط باريس متوقعـــاً في أية لحظة .

وقال تومي :

ـ وماذا عن كارل فون دينيم والمرأة البولنـدية ؟ هل تعتقدين أنهما كانا يعملان سوياً ؟

ـ لا بـد أنهما كانا مرتبطـين بطريق مـا .. ولا تنس أنـني رأيتهما يتحادثان .

ـ إذن لا بد أن يكون كارل دبر الاختطاف .

ـ لماذا يختطفون هذه الطفلة بالذات ؟ ومن هم آل سبروت ؟ لا أعتقـد انهم من الأغنياء ، ثم أنهم عديمو الاتصـالات الحكومية التي قـد ينتفع بها العدو مثلاً .

ـ إني أفهم ذلك يا تومي ، وبودي لو كشفت السر .

ـ وهل لدى مسز سبروت أية فكرة عن سبب الاختطاف ؟

ـ ان تلك المرأة ، أعني مسز سبروت ، ليس لها قدرة على التفكير ، وكل ما تقول : إن هذا هو ما يفعله الألمان بأعدائهم .

ـ تلك الغبية ، إنها لا تعـلم ان الألمان قوم في غـاية الذكاء ، فهم لا يختطفون فـأراً ، إلا إذا كان هناك من الأسبـاب القوية مـا يدعو الى اختطافه .

فقالت توبنس :

ـ أعتقد أن مسز سبروت ، تستطيـع أن تدرك السبب ، لو أنهـا فكرت وحـاولت معرفته ، فلا بد أن يكون هنـاك سبب ، نعم .. لا بد أن تكون هناك معلومات ما ، تعرفها هي ، دون أن تعلم أن هذه المعلومات هي السبب

ـ هل حاولت أن تقنعي مسز سبروت ، أو تعمل على تحريك ذهنها بعض الشيء .

ـ نعم حاولت ، ولكن دون جدوى ، إن ما يهمها ، أن بقي عادت

اليها ، ثم لا تنس إحساسها بانها قد أصبحت قاتلة ، في نظر نفسها ، على الأقل .

– إن النساء مخلوقات عجيبة ، في لحظة خيل الي أن مسز سبروت ، تستطيع قتل فرقة بأكملها لاستعادة طفلتها ، والآن أراها تموت رعباً لمجرد ذكر القصة .

– لقد التمس لها المحقق العذر .

– كان هذا طبيعياً .

– أعتقد أن عدم إدراك قيمة ونتائج استعمال المسدس ، هو الذي دفعها إلى تحريك زناده ، فلو أنها كانت فكرت في العواقب المحتملة لما أقدمت على إطلاقه .

– أذكر أن شيئاً كهذا ورد ذكره في « التوراة » عن سيدنا داوود وجوليات الفلسطيني .

– أوه .. لقد طافت بذهني فكرة مماثلة .. ثم عدت فنسيتها في الحال .

– هل كانت عن المقلاع الذي قذف به داوود ذلك الفلسطيني ، فأرداه قتيلاً ؟

– لا .. لا .. إنتظر لحظة .. إنه كان .. عن .. سليمان الحكيم .

– عن معابد سليمان وكنوزه ، والحريم .

– كفى ، كفى . إنك تصعب الأمور . ما علينا .. كم أود أن أذكر بماذا كان وجه واندا يذكرني ، فقد أحسست عندما رأيتها لأول مرة ، أن وجهها ليس غريباً علي .

هل تعتقدين انك رأيتها في مكان ما قبل الآن ؟

كلا ، فأنا متأكدة انني لم أرها من قبل ، ولكني ..

– إن شيلا برينا وأمها ، يختلفان في منظرهما عن واندا ، تمام الاختلاف .

– نعم . ومع ذلك يا تومي . فاني أظن أن ثمة علاقة بين ذلك الانذار ، وآل برينا ، ويخيل إلي أن واحدة منهما هي التي وضعته .

– إذاً ، تعتقدين أن آل برينا ، وكارل ، وواندا بولونسكا شركاء ؟

– نعم ، ألا تذكر اللحظة التي تدخلت فيها مسز برينا ؟ ثم ألا تذكر أيضاً أنها كانت في صف من عارض في تبليغ البوليس ، وأنها ملكت زمام الموقف كله ؟

– وهكذا ، ألا تزالين تعتبرينها « م » ؟

– نعم ، الست من رأيي ؟

– ربما .

– لماذا يا تومي .. هل لديك فكرة أخرى ؟ ألا تحدثني عنها ؟

– أفضل ألا أحدثك عنها في الوقت الحاضر على الأقل ، فان تخميناتي ما زالت غير مركزة ، بل على العكس ، أعتقد أننا أمسكنا بطرف الخيط الذي يؤدي الى « ن » وليس الى « م » كما تعتقدين .. ولهذا أفضل أن يعمل كل منا – ولو بتخميناته منفرداً .

وكان تومي يفكر في نفسه ، ان بلتشلي شخصية لا غبار عليها ، ثم انه كان متحمساً لتبليغ البوليس .

ولكنه ، في نفس الوقت ، كان واثقاً من أن أم الطفلة ، ان تقبل .. وعلمه بوجود الانذار ، وفهمه لعقلية الأم ، جعلاه على ثقة من النتائج ، ومع ذلك .. فإن العكس جائز ، وعلى أية حال ..

وعاد تومي يسأل نفسه من جديد .. لماذا تختطف بتي سبروت ؟

وعندما انصرفت توبنس متجهة إلى غرفتها ، لم تلحظ وقوف سيارة البوليس بباب سان سوسي .. فقد كانت غارقة في تأملاتها حتى وصلت إلى باب غرفتها ، ولكنها أخذت إذ خطت الخطوة الأولى .. وصاحت :

– شيلا !

واستدارت الفتاة وواجهت توبنس .. كان الذعر والأسى مرتسمين على وجهها فقالت :

– كنت انتظرك يا مسز بلنكنسوب ، واني سعيدة إذ حضرت ..

– ما الخبر ؟

– لقد قبضوا على كارل !

– من البوليس ؟

لقد رثت توبنس لحال الفتاة .. إنها مغرمة بكارل فون دينيم ، وحتى لو ان كلاهما في نظرها على الأقل – متهماً بالخيانة الوطنية ، فإن تقدير عاطفة الحب من وجهة النظر الانسانية أمر لا يستطيع توبنس الا أن تحس به ولا تغفله ..

وعادت شيلا تقول

– ماذا أفعل ؟

وارتجفت توبنس لبساطة السؤال .. فلم تجد ما تقول سوى أن غمغمت :

– أوه يا عزيزتي ..

– لقد أخذوه .. وهكذا لن أراه ثانيـة .. ماذا أفعل ؟ نعم .. ماذا أفعل ؟

وانفجرت تبكي بحرارة من كل قلبها ، ثم تهـاوت على الفراش .. فجلست توبنس إلى جوارها تمسح على رأسها وقالت :

– ربما لا يجدون شيئاً ضده ، فلا تجزعي .. وكل مـا في الأمر أنهم سيعتقلونه ، ولا تنسي انهم سيعتقلون كل رعايا الأعداء .

– لم يكن هذا ما قالوه .. انهم يفتشون غرفته الآن ..

– لا شك أنهم لن يجدوا فيها ما يؤذيه .. اليس كذلك ؟

– لن يهم البوليس أن يكون بريئاً أو مذنباً .. انهم سيلصقون به التهمة ..

– هذا خطأ .. بل مستحيل .. انك تثقين في النـاس يا شيلا ، وتطمئنين إلى كلامهم أكثر من اللازم .. ولعل هذا هو موقفك حيال كارل ، ولعلك كنت على خطأ ..

– إذن أنت أيضاً ضده .. أواه .. فقد ظننتك تميلين اليـه بعض الشيء ..

– استمعي الي يا شيلا .. ان الميل او عـدمه ليس لهما دخل في الوقائع المادية ، فهذه البلاد والمانيا في حالة حرب .. وهناك وسائل عديدة يخدم بها المرء وطنه .. منها أن يحصل مثلاً على معلومات يرسلها إلى وطنه من خلف الخطوط ، وهو عمل فيه كثير من الشجاعة وانكار الذات ، ولكن القانون الدولي لا يعترف به !

– هل تظنين ان كارل ؟

– ربما .. ربما كان يخدم وطنه عن هذا الطريق .. إن هـذا محتمل ..

ربمـــا كان عمله ان يأتي إلى هذه البلاد كلاجيء ، وأن يتظاهر بعدائه الشديد للنازية .. وهكذا يستطيع أن يحصل على مـــا يريد من معلومات ..

– هذا لا ينطبق على الواقع ، فإني أعرف كارل جيداً ..

وقد خبرت قلبه كما خبرت عقله الذي لا يفكر إلا في العلم وفي عمـله ، وهو يحس أنه مدين لانجلترا لأنها آوته ومنحته الفرصة ليعمل فيها ، ولو أنه أحياناً – عندما يهان – يحس بألمانيته ، ويتألم .. ولكنه يكره النازيـين وما يدعون اليه وبخاصة انكارهم لحرية الفرد ..

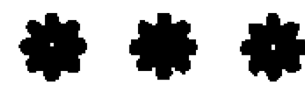
– هذا ما يقوله من كان في مثل مركزه .

– إذن أنت تعتقدين أنه جاسوس ؟

– هذا ما أظنه ، انه مجرد احتمال !

– إذن فيؤسفني انني لجأت اليك لمساعدته ..

وخرجت الفتاة بعد أن صفقت الباب خلفها .



رفع الرجل المسن سنـــارته من الماء ، ثم ارتكز على دفة القارب وقـال :

– لا شك في ذلك ، واني أخشى ان يكون !

فأجاب تومي :

– نعم ، ويؤسفني ما حدث ، فإنه شاب لا بأس به ..

– انهم لا يختارون سوى أمثاله من الشبان الشجعان لمثل هذه المهات ،

ومع كل فقد وجدوا ورقة كتب فيها بالمعادلات الكيمائيـة أسماء العمال الذين يشتغلون تحت امرتـه في المصنع والذين يمكن التـأثير عليهم .. كما عثروا على مذكرات عن مشروع كيمائي مريـع لتسميم الأغـذية ، أعده السيد كارل ..

– ألا يمكن أن تكون هذه الأوراق قد دست عليه ؟

– أوه . هذا افتراض زوجتك بلا شك . لها الحق في ذلك .. فهو فتى في ريعان الشباب .. ولكني شخصياً لا اعتقد في براءته ..

فذلك الحبر السري الذي وجدناه في المعمل مخبأ بحذق ومهـارة وتلك المادة السامة التي صبها على هيئة أزرار وكان يذيبها في الماء ثم يبلل به أربطة الأحذية .. تلك الأربطة التي وجدنا مئات منها معلقة في حجرته لتجفيفهـا ، ان هذه أدلة لا تقبل الشك ..

وعندما عاد تومي ليقص على توبنس خلاصة هذا الحديث صاحت :

– أربطة أحذية .. ماذا تقول ! إن هذا يفسر كل شيء ..

– ماذا !؟

– بتي أيها الغبي .. ألا تذكر ماذا كانت تعمل في غرفتي ! عندمـــا حلت أربطة حـذائي وبللتها في كوب اللـبن . ظننت ذلك حينئـذ عبث أطفال .. ولكنها لا بد رأت كارل يفعل ذلك فقلدتـــه .. ولعله خشي أن تقول الطفلة شيئاً عما رأته فاتفق مع تلك المرأة على اختطاف بتي ..

– وهكذا يتضح كل شيء ..

– نعم .. وكم أود أن تنكشف لنا باقي الأمور .. فالأحوال الحربيـة العامة في غاية الخطورة.. وكل سواحل فرنسا أصبحت في أيدي العدو وأصبح الغزو قريب الحدوث.

– كان كارل حلقة في السلسلة ولعل مسز برينا هي الرأس المدبرة !

– نعم .. ولكننا لم نجد ما يدينها .

– وهي ليست من الغباء بحيث ترمي بنفسها بين أيدينا !

– وعلى ذلك يمكننا اعتبارها (م) !

فهز تومي رأسه موافقاً وقال :

– إذا فعلينا أن نتابع مراقبتها وعليك الاتصال بالبرت ..

– اتصلي أنت به .. إذ سأذهب للعب الجولف ..

الفصل التاسع

- يخيل إلي أن الأيام الماضية قد عادت من جديد يا سيدتي .

– أرجو ذلك يا البرت . وكيف حال زوجتك ؟

– انها بخير كما تعلمين عند أقاربها في ويلز .

– عسى ألا يكون اشتراكك معنا في العمل يعطل اعمالك الخاصة ؟

– بالعكس يا سيدتي ، فكم كنت أود العودة معكما من جديد . ولكن الظروف لم تسمح من ناحيتكما . وقد حاولت في ادارة المباحث وفي ادارة الأمن العام فاحتجوا بكبر سني . وقالوا لي انتظر فقد نحتاج اليك .

– ان منطقهم غريب . وقد قاسينا منه يا البرت .

– أعتقد ان هذه فرصتنا للعمل ضد هؤلاء الالمان ـ الملعونين ـ وأرجو ان تعذريني على هذا الوصف يا سيدتي .

– حسناً يا البرت والآن أفهمك ما أريد ان تقوم به .

كانت كرة الجولف تجري في طريقها وسط الملعب عندما سأل تومي الكوماندوز هايدوك :

– منذ متى تعرفت إلى بلتشلي يا هايدوك ؟

– بلتشلي ؟ دعني أتذكر . أوه .. منذ حوالي تسعة شهور . وأذكر انه أتى إلى هذه المنطقة في الخريف الماضي .

– قلت انه صديق لأحد اصدقائك ؟

– هل قلت أنا ذلك ؟ لا أظن . وأذكر انني قابلته هنا . في النادي .

– انه شخص محوط بالأسرار على ما أرى !

– امرار !. بلتشلي العجوز !. هذا أغرب وصف للرجل .. لو قلت انه رجل عسكري التفكير ، او محدود ، او ما شابه ذلك ، كنت اوافقك، ولكن وصفك هذا له .

– لعلي وصفته هذا الوصف نتيجة لما سمعته عنه من بعضهم .

– ماذا تعني ؟

– لا شيء . انه مجرد حديث عابر سمعته .

– كل ما علمته عنه انه كان في فرقة الهوزار .

– هل أنت واثق ؟

– أنا ؟ لا .. لست متأكداً .. ولكن حدثني يا ميدوز .. هل علمت عنه أمراً ؟

– لا .. أبداً . فقط ..

– أكاد أدرك ما تعني . تقصد ان احداً لا يعلم شيئاً عن ماضيه . وانه منذ نزل بهذه المنطقة لم يتصل به مخلوق .. ولم يتصل هو – فيما أعلم – بأحد .

– آه .. هل ترى ان نواصل اللعب ؟

واتخذ كل منهما موقفه الجديد في ساعة اللعب ، وبعد جولة عاد هايدوك يسأل :

– ماذا سمعت عنه ؟

– لا شيء ..

– لا حاجـــة بك إلى كل هذا التحفظ معي يا ميدوز . لقد تعودت الاستماع إلى مختلف الاشاعات ، واني أكاد أخمن المسألة .. هل يخفي بلتشلي حقيقته ويظهر لنا بغيرها ؟

- هذا مجرد فرض ..
- ماذا يفترضون ؟ انه جرماني ؟ ان ذلك مستحيل ؟
- آه ، طبعاً .. هذه الناحية لا غبار عليها ..
- ثم لا تنس كيف كان متحمساً للقبض على ذلك الفتى الألماني ، وكيف صرح عدة مرات بوجوب شنقه ، ولعمري لقد كنت أوافقه على رأيه كل الموافقة ، فقد سمعت ان ذلك الفتى أعد مشروعاً لتسميم مياه الشرب في هذه المنطقة .. ذلك الوغد الذي كان يعيش بيننا نكرمه ونحسن استقباله !

وأسف تومي كل الأسف على الفرصة التي ضاعت منه ، والتي كان قداعدها لاستدراج الكوماندر إلى هذا الحديث ، فقد انضم اليها في تلك اللحظة بعض أعضاء النادي وعرضوا عليها الذهاب إلى النادي لتناول المشروبات . وبعد أن جلسوا جميعاً بعض الوقت قال هايدوك بعد أن نظر إلى ساعته :

- أرجو قبول عذرنا يا سادة فنحن - ميدوز وأنا - على موعد !

وأتى تومي على قوله فخرجا ، ووافق تومي أن يتنـــاول عشاءه مع الكوماندر في « استراحة المهربين » وقام بخدمتها خلال تناول الطعام ساق في منتصف العمر كان يؤدي واجبه كما لو كان في أعظم مطاعم لندن .. وانتهز تومي فرصة خروجه من الحجرة وأبدى اعجابه به .

فقال الكوماندور :
- أجل انني سعيد الحظ إذ عثرت على « آبل دور » .
- وكيف عثرت عليه ؟
- أعلنت عن حاجتي لساق متمرن . وكان أول من أجاب الاعلان وقدم لي شهادات من مخدوميه السابقين ..

وعندمابدءا يحتسيان القهوة قال تومي :
- ماذا كنت تقول عندما كنا نتحدث عن بلتشلي ؟
- ماذا كنت أقول ؟ اترى . اترى هذه الأضواء التي تلوح في البحر ..

أين منظاري ؟ اني أعتقد ان هذه بوادر الغزو !

وبدأ تومي يتتبع الأضواء ، واستطرد هايدوك يقول :

– ها هم أولاء يسيرون من نصر إلى نصر ، ونحن ماذا نفعل . نحتسي الويسكي ونتحدث عن السقاة !

وكان « آبل دور » قد دخل ومعه زجاجة وسكي وبعض الكؤوس .. وراح تومي يراقب الرجل وهو يملأ كأسه ، وقال في نفسه : كان يجدر أن يسمى هذا الساقي « فريتز » لا « آبل دور » ان هيأته وتقاطيعه أقرب إلى الهيأة الألمانية من أي هيأة أخرى .. أما طريقة نطقه باللغة الانجليزية فلا شك انه تعلمها من طول إقامته في البلاد ، واخذ يمعن في التأمل .. ترى أين رأي هذا الرأس ! وهذا الوجه قبل الآن . وكان الكوماندور يقول :

– نعم اننا نتحدث في موضوعات تافهة ، ومن وقت الى آخر يطلبون منا ملء تلك الأوراق السخية ، التي تختص بعضها بتحقيق الشخصية والبعض الآخر بالتموين وبعضها .

– تلك الاوراق التي يسألوننا فيها عن عمرنا ثم عن اسمنا .. ويقول لك الموظف المختص في شراسة :

– انطق ، ما اسمك ، تكلم ، (ن) او (م) .

وقفزت زجاجة الويسكي من يد الساقي الممتاز ، وانتثرت محتوياتها على قميص تومي ثم سقطت على الارض ، وارتجف الساقي وأخذ يقول متلعثماً :

– آسف ، سيدي ..آسف .

وانفجر غضب هايدوك وصاح :

– ما هذا الذي فعلت أيها الغبي المخبول .. ماذا تظن انك تفعل أيها الخنزير . واستمر (ابل دور) في اعتذاراته المتكررة وهو يجمع الأدوات المبعثرة وتأثر تومي لحاله ·· وفجأة عاودت الرقة الكوماندور فقال

تومي :

– تعال لتغسل يديك ..

وقال الرجلان الى الحمام ذي الأجهزة العصرية الحديثة .

ودخل توم الحمام ليغسل يديه بينما وقف الكوماندور في غرفة النوم المجاورة يقول :

– لعلي أغلظت القول يا تومي للساقي .. ولكن اعذرني . فقد ضايقني ما حدث ..

وغسل تومي يديه ثم وقف يجففهما ولم يلحظ أن قطعة من الصابون انزلقت على أرض الحمام الملساء . فلما استدار ليخرج عثرت رجله بها .. فانفجرت رجلاه كما لو كان أحد راقصي الباليه واصطدمت احدى يديه بصنبور الماء واصطدمت الأخرى بباب آخر في الحمام .. وانزلقت رجله حتى صدمت المغطس وفي طرفة عين اختفى وانكشف الحائط عن مخبأ غريب به جهاز لاسلكي ضخم .

وفي تلك اللحظة نفسها .. توقف صوت الكوماندور عن الحديث وظهر واقفاً بباب الحمام .

وفي نفس اللحظة أيضاً لمعت أضواء في ذهن تومي ، وضعت كثيراً من الأمور في نصابها ..

هل كان أعمى حتى تلك اللحظة . ان ذلك الوجه الانجليزي العادي لم يكن سوى قناع ، لماذا لم يحس ان هذا القناع يخفي وراءه صفات الضابط البروسي الفظ .! ذلك الذي لا يغتفر خطيئة لأحد مرؤوسيه . لقد تجلى ذلك عندما انسكب الشراب من يد الساقي المرتعشة ، ذلك الساقي الغبي الذي لم يتحمل صدمة ذلك السؤال .

وهكذا تتالت الاستنتاجات في رأس تومي وتداعت المعاني .

أرسل العدو رسوله الأول (هاهن) فأعد المكان . واستخدم عمالاً أجانب

دون ان يهتم بلفت الانظار اليه حتى يتم العمل . فيتدخل رجل من كبار رجال البحرية الانجليزية المتقاعدين لا ترقى اليه الشبهات هو الكوماندور هايدوك .. ويكشف عن سر هذا الرجل .. ومن الطبيعي جداً أن يتقدم لشراء المكان ويدور يتحدث عن القصة حتى يضايق بها من يستمع اليها .. وهكذا استقرر (ن) في مركزه المعد له في كل مكان على ساحل البلاد وتحت أمره كل الوسائل الميسرة للاتصال بالخارج عن طريق الأجهزة التي أخفيت بمهارة وحذق .. او عن طريق أركان حربه المنبثين في كل مكان داخل البلاد ، وبخاصة في سان سوسي مركز قيادته .

ولم يستطع تومي أن يخفي أعجابه بأحكام الخطة ، إذ لم يتطرق اليه أي شك في الرجل . ولولا تلك الحادثة غير المتوقعة ، ما انكشفت الأمور له على هذا النحو .. وقد طافت هذه الافكار جميعها في ذهن تومي في ثوان أدرك بعدها أن موقفه أصبح في غاية الخطورة ، وان عليه تمثيل دور الانجليزي الغبي، عله ينجو بجلده .. فتمالك نفسه ، وعدل ملابسه ، وجمع ما انتثر من جيوبه ، ثم قال موجهاً حديثه للعملاق المنتصب بباب الحمام بعد ان رسم على شفتيه ابتسامة ركز فيها كل ما استطاع من بلاهة :

– يا للعجب ، حقاً ان ما تراه في منزلك من الغرائب يثير الدهشة والعجب هل هذا أحد أجهزة (هامن) الغريبة ؟

وكان هايدوك قد وقف بالباب دون ان يتحرك . وخيل لتومي انه تمدد حتى ملأ فراغ الباب كله . فسرت في بدنه قشعريرة وأحس بالعرق البارد يغمره ، وتذكر ان هناك الساقي أيضاً .. ومن يدري ؟ وقطع تيار أفكاره صوت هايدوك يقول ضاحكاً :

انه أمر مثير للضحك يا ميدوز .. فقد قفزت في الهواء كأبرع لاعبي (الباتيناج) ، ولست أعتقد أن حركة كهذه تحدث للمرء مرتين في العمر .. جفف يديك وتعال الى الغرفة الأخرى ..

وتبعه تومي وهو في غاية التنبيه لأقل حركة أو بادرة ، فان عليه أن يخرج سليماً من هذا المكان وفي الحال بأي ثمن .. وامتدت يد هايدوك الى كتف تومي بحركة قد تكون طبيعية ، وقد لا تكون . وقاده الى غرفة الاستقبال فدخل أولاً وتبعه هايدوك الذي لم ينس أن يغلق الباب خلفه .. ثم قال في صوت طبيعي وهو يشير الى تومي بالجلوس :

– لدى ما اقوله لك أيها الطفل العجوز .. انه موضوع غريب .. ولن أقوله لك إلا لأنك موضع ثقتي . وعليك ان تنساه مباشرة يا ميدوز .. هل تفهم ما أعني ؟

فأعمل تومي جهده ليظهر بمظهر المتلهف على سماع الحديث .. بينما سحب هايدوك كرسيا وقربه الى حيث جلس تومي ، ثم قال :

– أن المسألة يا ميدوز لم ولن يدركها أحد مطلقاً .. اني أعمل في قلم المخابرات ، فهز تومي رأسه نفياً وزاد من تصوير تلهفه ، فاستطرد هايدوك :

– انه سر في غاية الخطورة .. بل هو من أسرار الدولة العليا يا ميدوز ، ونحن نرسل من هنا بعض الإشارات السرية ، وأكرر القول انه سر في غاية الخطورة ، بل هو سر مميت لو عرف ، أتفهم ما أعني ؟

– طبعاً .. طبعاً ، ما أغرب هذا ! ثق انني سأنسى هذا الحديث .

– يكفي ما علمت ، فالأمر كما ذكرت لك في غاية الخطورة !

– نعم .. نعم .. واني اعتذر اليك .. ولكن الحادث كله لم يكن متوقعاً ..

وكان يومي يحسب لكل كلمة يقولها الف حساب ، إذا لم يكن يتوقع أن يصدق الكوماندور اصطناعه البلاهة ، ولكنه لم يجد سواها باباً يحتمل أن يخرج منه ، وكان يعتمد على أن الغرور صفة من صفات أغلب الرجال ، أمثال هايدوك ، الذي يعتقد نفسه أنه أذكى من سائر المخلوقات ، وأنه تبعاً لذلك يعتبر مستر ميدوز هذا ، رجلا انجليزياً غبياً يصدق كل ما يقال له

فاستمر تومي يتكلم مظهراً إعجابه ودهشته دون أن يلقى سؤالاً واحداً على الكوماندور ، الذي أخذ بدوره يتكلم ببساطة البحار الانكليزي واختفى الضابط البروسي الفظ خلف قناع صفيق ، ولكن تومي كان يراقبه بعين جديدة على ضوء ما اكتشف ..

وبعد هنيهة وقف ميدوز وقال :

– لقد تأخرت كثيراً كثيراً ، ويحسن بي أن اذهب الآن ، وأعدك ألا أفتح فمي بما رأيت أو علمت ، كما أعتذر اليك عما حدث . فقد كان بمحض الصدفة ..

وكان يقول في نفسه .. الآن أو أبداً .. هل سيسمح له بالخروج يا ترى ؟

واتجه نحو الباب ، ثم سار في الردهة ، واصبح على خطوات من الباب الخارجي ..

ولمح في غرفة على يمينه « آبل دور » يعد أدوات المائدة للصباح التالي..

إذا .. ان الامور تسير كما يهوى .. وسيتركه الأغبياء يخرج .. بالسر الخطير ..

ووقف الرجلان – هايدوك وميدوز – بالباب الخارجي ، يضربان موعداً لمباراة جولف ، في ارض النادي يوم السبت المقبل .

وسمعا أصوات قادمة في الطريق .. كانا رجلين من اعضاء النادي ، يعرفانهما معرفة سطحية ، ولما رأيا الكوماندور واشار اليهما ميدوز بالتحية توقفا وتبادل الجميع بعض الحديث .

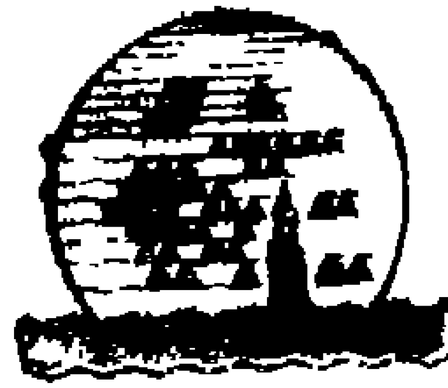
ثم استأذن تومي من الكوماندور ، وسار في طريقه إلى سان سومي بصحبة الرجلين اللذين سارا في نفس الاتجاه ..

– ها هو ذا ، قد أصبح طليقاً بعد ان انكشف له السر الخطير ..
وسقط هايدوك الغبي في الفخ دون ان يشعر .

وتوالت افكاره في كل اتجاه ..

ماذا يقدر لاكتشافه هذا .. سيهز إدارة المخابرات هزاً عنيفاً ..

ووصل إلى أبواب سان سوسي .. وحيا زميله في الطريق .. وسار في الممر يصفر لحناً .. وما أن استدار في المنعطف المظلم الذي يؤدي إلى الدرج ، حتى أحس بشيء ثقيل يهبط على رأسه فسقط على وجهه ، وغاب عن الوجود ..



الفصل العاشر

كن يلعبن الورق ، وعادت مسز سبروت إلى منضـدة اللعب ، وهي تقول حانقة :

– لقد قدموا موعد تجربة الغارة الجوية مرة ثانية ، وستتم الليلة .

وكانت مسز منتون تقول :

– أعطني ورقتين ، إنـني لا أستطيـع الاعتماد على الحظ وحـده ، فالورق يحتاج الى حظ وفن .

وقالت توبنس :

– ورقة واحدة .

وفجأة قالت مسز كايلي :

– عن إذنكن ، يظهر أن مستر كايلي في حاجة إلي ، ويخيـل إلي أن كتابه سقط منه ، أو أنـه سقط من على مقعده .. فقد سمعت شيئـاً يسقط ..

وبدأت الباقيات تتفكهن بالحديث عنها وعن زوجها ، ثم سكتن لحظة وأخيراً قالت مس منتون :

– لم أر شيلا الليلة ، ترى أين ذهبت ؟

فقالت مسز سبروت :

– لقد ذهبت إلى السينما .
وسألت توبنس :
– وأين مسز برينا ؟
فأجابت مس منتون :
– سمعتها تقول انها ذاهبة الى حجرتها لمراجعة الحسابات ، لعمري مـــا أصعب مراجعة الحسابات !
وقالت مسز سبروت :
– لا أظن أنها تراجع الحسابات ، فقد رأيتها تمر بالردهة ، وأنا أتحدث بالتليفون منذ برهة ، وكانت تصعد لاهثة الى الطابق الثاني ، ورمقتني بنظرة غريبة لم أفهمها .
ودخلت مسز برينا ، فاتجهن اليها بابصارهن .. وسألتها مس منتون :
– خيراً ، هل كنت تتنزهين في الخارج ؟
– أبداً ، أنا لم أخرج .
– سمعت مسز سبروت تقول انك في طريقك إلى النزهة فاستغربت .
– خرجت لأرى حال الجو خارج الفيلا .
ودخلت مسز أووروك بعد لحظة وقالت :
– بوكر أم بريدج ؟
فنظرن جميعاً اليها وسألتها مسز سبروث :
– ما هذا الذي أراه في يدك ؟
– انها مطرقة ، وجدتها بجوار الدرج .. لا بد أن يكون أحد قـد نسيها هناك .
وبعد قليل ، عاد بلتشـلي من السينما ، وأخذ ينتقد الفيـلم الذي رآه ، ثم أحس الجميع أن الوقت قد تأخر ، فانصرف كل إلى غرفته .
وفي الصباح اجتمعوا على مائدة الافطار ، وقال الماجور بلتشلي :

– إنه أمر غريب حقاً !.

– إني لا أحب الجري وراء الاشاعات او الاساءة لسمعة أحد ولكن . انه المستر ميدوز .

– ماذا حدث له ؟

– لم يعد إلى الفندق في الليلة الفائتة .. بل انه لم يعد حتى الآن .

فقالت توبنس في دهشة .

– ماذا تقول ؟!

فأجاب الماجور ، وهو يرمق توبنس بنظرة لها معناها ؛ نظرة الرجل الذي يدرك إحساسات الأرملة الجامحة :

– يظهر أن مستر ميدوز حن إلى سهرات الشباب ؛ ومع كل فقد ضايق غيابه مسز برينا .

وقالت مس منتون :

– من يعلم ؟. لعله أصيب بحادثة أثناء تجربة الغارة ، في الليلة الماضية

– حادثة ؛ مستحيل !

ثم قال كأنما يوجه كلامه الى مسز بلنكنسوب :

– إنها الطبيعة البشرية ؛ التي تدفع الكهول دائماً ؛ الى التغيب عن منازلهم .

لست أرى مستر ميدوز من ذلك النوع من الرجال ؛ وفي ظني أن حادثاً وقع له .

فقال الماجور :

– انه لو صدم مثلاً بسيارة ، أو بشيء من هذا القبيل ، لعلمنا ذلك .

– لعلهم نقلوه الى أحد المستشفيات ؟

ولم تحتمل توبنس الحديث أكثر من ذلك ، فانسحبت من الغرفة ، وابتسم الماجور قائلاً :

– مسكينة الأرملة التي تجري وراء كهل لا يهتم بها .

صدق « ديكنز » إذ قال : « إحترس من الكهول . العزاب .. فلا رجاء فيهم » .

والواقع أن توبنس أقلقها غياب تومي غير المتوقع ، ولكنها حاولت ان تطمئن نفسها بأنه قد يكون قد عثر على أثر هام ، وأخذ يتتبعه ، دون أن يجد فرصة للاتصال بها .

وكان كلاهما يقدر صعوبة اتصال أحدهما بالآخر ؛ ويقدر احتمال غياب أحدهما المفاجىء ، فاتفقا على وسائل للتفاهم ، في مثل هذه الحالات .

ثم أن غياب مسز برينا ، خارج الفيلا ، في الليلة الماضية – كما قالت مسز سبروت – ورغم أنها أنكرته ، يحوي معاني كثيرة ؛ لعل تومي أحس باحدها ، فتتبعها ليكتشف المهمة الخفية التي خرجت من أجلها ، ولكن كان عليه أن يتصل بها بالوسائل المتفق عليها ، أو يسرع في العودة .

ولكن اليوم مر طبيعياً .. ولم يسمع عن مستر ميدوز ، أي خبر . وفي المساء ، وبعد إلحاح جميع النزلاء .. قبلت مسز برينا أن تتصل بالبوليس .

وحضر أحد الكونستبلات ، وسأل عن المعلومات التي يعرفها النزلاء عن زميلهم الغائب ، ودونها في مفكرته ، وقام بعدة تحريات ، عرف منها أن المستر ميدوز بارح منزل الكوماندور هايدوك في العاشرة والنصف مساء ؛ ومن هناك سار مع المستر وولترز والدكتور كيرتز حتى أبواب سان سوسي ثم ودعهما ودخل حديقة الفيلا . ومنذ تلك اللحظة لم

يظهر المستر ميدوز .
ورأت توبنس خلال هذه المعلومات أن هناك احتمالين :

الأول : أن يكون قد رأى مسز برينا خارجة في تلك الساعة المتأخرة فتبعها ، حتى رآها تقابل شخصاً غريباً ؛ فتبع هذا الأخير . وتركها هي لأنه رآها تعود الى سان سوسي .
وفي هذه الحالة يرجح أن يكون على قيد الحياة .. وان تحريات البوليس ستربك أعماله .

أما الاحتمال الثاني فقد صورته لها الحالة الغريبة التي كانت عليها مسز برينا ؛ من ناحية ؛ ثم دخول مسز أوروك وفي يدها تلك المطرقة الثقيلة ؛ التي لم تجد تعليلاً مقبولاً للعثور عليها ؛ في تلك الساعة من الليل .. ثم أن تحديد الوقت كان مستحيلاً . لأن واحدة من اللاتي كن يلعبن الورق لم تهتم به ساعتئذ كما ان مسز برينا أنكرت انها خرجت إلا لترى حالة الجو خارج الفيلا !
ثم تلك الملاحظة التي أبدتها مسز سبروت .. من انها رأتها تجري لاهثة .. وتصعد إلى الطابق الثاني من الفيلا .. وقد حاولت توبنس ان تتأكد من الساعة التي حدث فيها كل هذا من الأخريات ولكنهن لم يجبن بما يشفي الغليل .

ثم أن هناك احتمالات اخرى .. فقد كان هناك ثلاثة آخرون من سكان سان سوسي في الخارج ؛ في الوقت الذي عاد تومي فيه .
فالماجور بلتشلي كان في السينما وحيداً والطريقة التي اتبعها في حكاية قصة الفيلم كله قد يفسر على أنه كان يعد لنفسه مخرجاً فيما لو وضع في موقف الاتهام ..

ثم هناك المستر كايلي الذي دار حول الحديقة دون سبب معقول في ذلك الوقت بالذات ولأول مرة منذ سكن سان سوسي .

ومسز أوروك نفسها والمطرقة الضخمة التي كانت تلوح بها في يدهـا دون مناسبة ما .

* * *

– أيتها الجميلة .. ما لي أراك اليوم على غير ما عهدت .. إنه انشغال البال ما من شك في ذلك ؟ ترى ماذا يشغل بالك ؟.

فابتسمت ديبورا برسفورد لمحدثها الشاب تومي مارسدون . فقد كانت الفتاة تميل اليــه لذكائه المفرط ؛ إذ اعتـبره الرؤساء أبرع من عمــل في إدارة الشيفرة .

وكانت ديبورا في نفس الوقت تحب عملها الذي يجبرها على تركيز تفكيرها فيه .. ورغم انه عمـل متعب إلا انه لذيذ ؛ تشعر من تشغـله بانها ذات أهميـة ، وليست كتلك الممرضات اللاتي يتسكعن في ردهـات المستشفيات ؛ ينتظرن حالة جـديدة من وقت الى آخر .. وعـاد توني مارسدون يسألها :

– ما الذي تفكرين فيه .. أيتها الجميلة ؟

– لا شيء ؛ إنها مسائل عائلية لا أكثر .

– إن العائلات مرهقة دائماً .. هل لي ان أستفسر ؟

– ليس في المسألة سر .. ان والدتي .. أراني قلقة عليها ..

– لماذا ؟ أمريضة هي ؟

– أبداً .. كانت قد ارسلت لي خطاباً بأنها ذهبت لتقيم مع عمة مسنة لي في كورنوال لتساعدها وتمرضها ؛ وقد كنت في غاية الاطمئنان عندما وصلني منها خطاب منذ يومين .

– إذن ماذا غير الأحوال ؟

– المسألة انني كلفت زميلنا شارل ، وكان قد سمح له باجازة لزيارة أهله في كورنوال ، أن يمر بمنزل العمة ويزورهم .. وقد ذهب ولكنه لم يجد والدتي هناك .

– لم يجدها هناك ؟!

– نعم ، بل لم تذهب إلى هناك إطلاقاً .

– أمر غريب حقاً ! وأين ، أعني والدك ؟!

– أبي ؟ إنه التحق بعمل في اسكتلندا، من تلك الأعمال الكتابية ، الملفات والأوراق وما شابه ذلك

– ربما ذهبت والدتك لتلتحق به هناك .

– لا يمكن .. فانه يعمل في إحدى تلك المنـــاطق التي يمتنع دخول الزوجات اليها .

– إذن لا بد أن تكون قد ذهبت الى مكان ما .

– نعم ، ولكن .. إن كل خطـاباتها تتحدث فيها عن العمة المسنـة والحديقة ، و ..

– نعم .. نعم .. لا شـك انها كانت تريدك ان تعتقـدي انها هناك .. بينما .. أعني .

– لا .. لا ، مستحيل ! إذا كنت تعتقد أن أمي من اولئك النساء اللاتي لا يجدن غضاضة في الاتصال برجل آخر ، فأنت مخطىء ، مستحيل أن يحدث هذا .

– آسف جداً ، فلم أكن أعني ذلك .

– الغريب في الموضوع ، أن شخصاً ما قـال لي أمس انه رآها في (ليهامتن) اخـيراً .. ولكن خطاباتهـا من كورنوال ، إنني لا أستطيع

أن أفهم .

وتوقف توني عن إشعال سيجارته ، وترك عود الثقاب يحترق دون أن يهتم به

وصاح في دهشة :

– ليهامتن !

– نعم ، إنه آخر مكان يفكر فيه الانسان : ضباط متقاعدون .. وأرامل يستشفون .

ورمى الشاب بعود الثقاب ، الذي كاد يحرق أصابعه ، ثم عاد فأشعل عوداً آخراً وسألها :

– ماذا كانت والدتك تعمل في الحرب الماضية ؟

– كانت تعمل أحياناً في التمريض .. وأحياناً أخرى تقود سيارة أحـد الجنرالات على ما أظن .

– ظننت انها كانت ، مثلما أنت الآن ، في إدارة المخابرات .

– مخـابرات ؟. أظن انها قـامت ، في وقت من الأوقات ، بنقـل بعض الأوراق الهـامة ، فاعتـبرت ذلك عملاً جبـاراً .. وبالغت في أهميتـه ..

وفي اليوم التالي ، عندما عادت ديبورا الى غرفتها ، لاحظت أن حالة الغرفة تنبىء بأن أشخاصاً عبثوا بها .

فنادت صاحبة المنزل ، وسألتها ، خاصة عن الصورة الكبـيرة ، التي كانت تحلي بها منضدة الزينـة ، ولكن السيدة قالت انها لم ترها ، وأظهرت أسفها وقالت ، ان الخادمة ، ربما تعلم شيئاً عما حدث .

ولما سئلت الخادمة أنكرت معرفتها لأي شيء وقالت ربما كان الرجل الذي أتى ليصلح صنابير الغاز هو الذي عبث بالغرفة .

ولكن ديبورا لم تتصور ان موظفاً بشركة الغـــاز يهتم بصورة سيدة في منتصف العمر ، وشكت ديبورا في ان تكون الخادمة قد كسرت إطـــار الصورة وخوفاً من المتاعب أخفتها نهائياً .

ولم تحب ديبورا ان تثير مشاكل جديدة ، ففي وسعها بلا شك أن تطلب من أمها إرسال صورة أخرى .. ومع ذلك فانها كانت قلقة على أمها وخاصة بعدما أشار صديقها توني إلى احتمال اتصالها بشخص ما .

الفصل الحادي عشر

كان الدور على توبنس لمقابلة ذلك البحار المسن الذي يصيد السمك بسنارته وكانت ترجو ان يكون مستر جرانت على علم باسباب غياب زوجها ، ولكن أملها انهار تماماً ، فقد علمت منه أن اخبار تومي انقطعت عنه منـذ وقت طويل ، فقالت توبنس ، وهي تبـذل جهداً كبيراً لتجعـل نغمات صوتها تبدو عملية :

— لا أظن ان هناك من الأسباب ما يجعلنا نعتقد انه أصيب بمكروه .

— كلا ! لا أظن ولكن لنفرض جدلاً انه أصيب . ماذا عنك أنت ؟

— أنا ؟ سأستمر طبعاً .

— هذا ما أريد أن أسمعه ، ولديك وقت طويل ، بعد الانتصـــار في المعركة تبكين فيه . أما الآن فنحن في إبانها ، والوقت قصير ، ثم لا تنسي ان نبأ صغيراً أبلغتناه الينا ثبت انه صحيح . فان كلمة « الرابع » عرف أنها ترمز الى اليوم الرابع من الشهر القادم ، وهو اليوم الذي حدده العدو لغزو هذه البلاد .

— أمتأكد أنت ؟

— نعم ان اليوم الرابع هو يوم الغزو ، أما هذه الغارات المتتالية فما هي إلا اختبار استحكاماتنا ومقدرتنا على المقاومة .

– ولكن ما دمتم تعلمون هذا كله .

– إننا نعلم أن يوم الغزو قد تحدد .. كما نعلم على وجـه التقريب في أي مكان سيقع . ونحن على أتم استعداد لهم .. ولكن ما يقض مضـاجعنا ، هو القصة القديمة ، قصة حصان طروادة ، والرجال الذين يعيشون في جوفه ، فهؤلاء هم الخطر الأكبر ، إذ انهم يعرفون ما نعرف من أسرار الدولة الحربية وهم الذين يستطيعون تسليم العدو مفاتيح القلعة .. ويكفي عشرة منهم يوزعون في مراكز هامة ، لتحطيم كل تنظيماتنا وكشفها للألمان ، ومن ثم ترين أن مـا نحتاج اليه هو الكشف عنهم .

– ما أقسى إحساسي بعجزي وعدم خبرتي !

– لا عليك .. فلدينا الكثير من الخبراء يعملون ما وسعهم العمـــل ، ولكن الخونة الذين يندسون وسطهم ، يجعلوننـا لا ندري فيمن نثق وفيمن لا نثق ..

– ألا تستطيعون تعيين بعضهم لمراقبة مسز برينا ؟

– لقد قمنا بذلك فعلاً ، وعلمنا أن لها نزعة نازية ، ولكن لم نصل بعد الى ما يثبت إدانتها ، فأرجو أن تستمري في عملك باقصى ما تستطيعين من حذق وحيطة .

– بقي نحو أسبوع على ذلك الموعد .. أعني اليوم الرابع .

– نعم . أسبوع بالضبط .

– إذن لا بد لنا من عمل شيء ما .. وأعني أنا وتومي . فاني ما زلت أعتقد انه وراء أثر ما ، ولعمري كم أود لو أستطيع أن ..

وقررت في نفسها خطة جديدة للهجوم .

– والآن يا البرت يجب أن أغير من الوسائل التي اتبعتها حتى الآن .

– ولكن يا سيدتي ، إن العدو لم يعرفك حتى الآن ، ويكفي انه اكتشف السيد برسفورد فيما أظن .

– لم يبق أمامنا وقت نضيعه .. وسأحاول أن أكشف نفسي ، وعليك أنت أن تراقبني ، وترى ماذا تستطيع ان تفعل حيال العدو في اللحظة التي يضع فيها يده علي ..

– لا أفهم ما تعنين .

– سأكتب خطاباً وأدعي انه فقد مني ، وأقيم الدنيا وأقعدها عن أهميته ثم أترك الفرصة للخادمة كي تجده وتضعه في مكان ظاهر . وأول من يتقدم اليه يكون هو (ن) أو (م) ، وأعتقد أنه سيعمل فوراً على إزاحتي من الطريق وعليك ان تكون يقظاً لكل ما يحدث .

– وأبلغ أولي الأمر في اللحظة المناسبة ، فيقبضون عليه في حالة التلبس..

– بالضبط .. وعليك ان تفكر في هذا حتى صباح الغد ، وتقابلني لنتفق على الخطوات الأخيرة

* * *

خرجت توبنس من المكتبة ، بعد ان اشترت كتاباً وصفوه لها بانه كتاب شائق وإذا بها تسمع صوتاً خلفها يقول :

– مسز برسفورد .

فالتفتت في ذعر .. فوجدت شاباً أسمر اللون طويل القامة ، علت شفتيه ابتسامة ، قال لها :

– أعتقد انك لا تعرفيني .. أو على الأقل لا تذكرينني .. لقد زرتكم في أحد الأيام الماضية مع ديبورا .

إذن هو أحد أصدقاء ديبورا .. وما أكثرهم .

– إنني أنتوني مارسدون . وأعمل في نفس المكتب الذي تعمل فيه ديبورا وقد حدث أمر مؤسف .

– ما هو ؟

– اكتشفت ديبورا انك لست في كورنوال كما كانت تعتقد .. وهذا أمر مؤسف حقاً بالنسبة اليك يا سيدتي على الأقل .

– كيف ؟ ماذا خمنت يا ترى ؟!

– إن ديبورا في الواقع لا تدري ماذا تفعلين الآن .. ويخيل إلي أنه من اللازم ألا تعلم .. وانني أقوم بعمل مشابه ، إذ علي أن أتحرى عن الأشخاص الذين يميلون للنظام النازي ، وهم كثر .

إن الخيانة في كل مكان .

– عندما حدثتني ديبورا عن عدم وجودك في كورنوال عملت على الحضور فوراً ، لتقومي من ناحيتك ، بترتيب الأمور لتغطية الموقف ، خاصة وقد عرفت بعض الشيء عن النشاط الذي تقومين به ، والى أي حد هو حيوي ، ولعمري .. إذا عرف ما أنت قائمة به من نشاط .. فان في ذلك خطراً محققاً . وقد فكرت ان تدعي انك اتصلت بالكابتن برسفورد في اسكتلندا .. أو في أي مكان آخر يكون فيه ، ويمكنك ان تقولي انه سمح لك بالعمل معه .

– ربما فعلت ذلك .

– أرجو ألا يضايقك تدخلي فيما لا يعنيني .

– بالعكس اني أشكرك .

– إني كما ترين .. أميل إلى ديبورا .

فرمقت توبنس الفتى بنظرة وفكرت في اهتمام الشبان بابنتهــا ديبورا ، رغم خشونة معاملتها لهم . وتصورت ان هذا الشاب لا بد ان يكون واحداً منهم .. ثم عادت وقالت للشاب :

– إن زوجي ليس في اسكتلندا !.

– هكذا ؟.

ـ نعم ، كان هنا معي ، ولكنه اختفى فجأة ..

ـ هذا أمر يؤسف له حقاً .. هل كان وراء أثر ما ؟

ـ نعم ، ولست أظن أن في غيابه هذا ما يخشى منه ، كما أظن أنه سيتصل بي بوسائلنا الخاصة ، إن عاجلاً أو آجلاً .

ـ طبعاً ، ولا شك انك تدركين خطورة المهمة .. ويجب أن تكوني على حذر .

ـ لا شك في ذلك ، وإني أفهم ما تعني .

الفصل الثاني عشر

بدأ تومي يحس كأنما كرة نارية تسبح في عينيه ، بعد أن كان قد فقد الوعي مدة لم يستطع حسبانها ، وتجمع الألم مجسماً في مركز تلك الكرة ، وأخذت تسبح ببطء ، ثم أحس فجأة ، ان نواة ذلك الألم ، هو رأسه المحطم .

وأخذ يستفيق شيئاً فشيئاً ويعي بعض ما هو فيه ، فأدرك أن أطرافه قد تثلجت وانه جائم ، وانه غير قادر على تحريك شفتيه ..

ان رأسه ملقى على أرض .. ارض جامدة .. أقرب الأشياء إلى صخر صلد .. وبدأت ذاكرته تعود اليه شيئاً فشيئاً .. تذكر هايدوك .. وجهاز اللاسلكي .. والساقي الألماني ، ودخوله من أبواب سان سوسي .. ثم ما حدث بعد ذلك .

وعاد يقول لنفسه .. هايدوك .. لقد عاد هايدوك إلى « استراحة المهربين » أمامي وأغلق الباب خلفه .. ترى كيف رتب الأمور بحيث يسبقه إلى سان سوسي ، وينتظره هناك ؟

ان ذلك امر مستحيل .. فلم يره في الطريق .. إذن .. لا بد أن يكون الساقي .. ولكن لا ، لقد رآه ينظم المائدة استعداداً لافطار سيدة في

صباح اليوم التالي ..

وعلى كل .. فإن ذلك لا أهمية له .. إنما المهم أن يعلم أين هو الآن ؟. كانت عيناه قد اعتادتا الظلام ، فرأى بصيصاً من نور ينبعث من نافذة صغيرة في أعلا المكان الذي كان فيه ، وأدرك انه ملقى في قبو وأن يديه قد قيدتا وكذلك رجليه ، وأنه قد كمم باحكام بحيث لا يسمع له صوت ، وقد بدأ يحاول تحريك أطرافه دون جدوى .

وبعد لحظات سمع صوت باب يفتح ، في مكان ما خلفه .. ودخل رجل يحمل شمعة ثبتها على الأرض ، ثم خرج وعاد من جديد يحمل (صينية) عليها دورق به ماء وكوب وبعض الخبز والجبن .. وقد عرف تومي فيه آبل دور الذي أخذ يتحسس الأربطة والكمامة .

ثم قال :

– سأنزع عنك هذه الكمامة لتأكل ، وإذا بدر منك أي صوت ، سأعيد ربطها من جديد ..

فحاول تومي أن يهز رأسه إيجــاباً ، ولكنه لم يستطع إلا أن يفتح جفنيه ويقفلها علامة على رضاه .. فأخذ آبل دور ينزع عنه الكمامة ببطء واستطاع تومي بعد عدة دقائق أن يحرك فكيه وفمه ..

فأمسك آبل دور بالكوب وقربه من شفتيه ، فجرع قليلاً بصعوبــة في أول الأمر ، ثم استطاع ان يزدرد الماء ازدداداً ، فأحس أن حالته أصبحت خيراً مما كانت ..

ثم أمسك الرجل بقطعتي الخبز والجبن ورفعهما إلى فم تومي ، واستمرت العملية بعض الوقت . وشرب تومي أغلب ما كان في الدورق من الماء ، ثم سأل الرجل :

– وما هو القسم الثاني من برنامجكم ؟

ولم يجب آبل دور ، ولكنه مد يده إلى الكمامة .

فأسرع تومي قائلا

– أريد ان أقابل الكوماندور هايدوك !

فهز آبل دور رأسه علامة عدم الموافقة ، وأعاد ربط الكامة ، وهكذا ترك تومي في ظلام دامس ، فنام .

واستيقظ على صوت الباب يفتح من جديد ، ودخـــل في هذه المرة هايدوك وآبل دور معاً ، وأزيلت الكمامة والأربطة . وكان هايدوك ممسكاً بمسدس اوتوماتيكي في يده !

ولم يكن تومي ، مطمئناً إلى نجـاح الخطة التي صمم عليها ، ولكنه قال :

– لست أفهم معنى الكل هذا يا هايدوك .. فقد اختطفت بدون أي مبرر ..

لا تقلق بالك ، المسألة أهون مما تظن .

– هل لمجرد كونك عضواً في إدارة المخابرات تظن نفسك تستطيع أن تفعل ما يحلو لك ؟

– لا .. لا يا ميدوز .. فأنت لم تقتنع بقصتي كما رأيت ، ولا حاجة لنا للاستمرار في هذه المهزلة .

ولكن تومي لم يظهر أية بادرة تبين فهمه لما يقول الكوماندور ، تمنى في أعماق نفسه أن يكون اصراره على التغابي ، وسيلة تخرجه من المأزق الذي وقع فيه فقال :

– من تظن نفسك ، بحق الشيطان ، مهما كنت ، ومهـما كانت القوات التي تخضع لك فإنه لا حق لك أن تعاملني هذه المعاملة .

فقال الآخر ببرود :

– إنك تمثل دورك تمثيلاً بارعاً .. وليس يهمني اذا كنت من العـاملين في إدارة المخابرات البريطانية ، أو أنك هاو مفتون .

ـ لا أدري عما تتحدث ..

ـ كفى يا ميدوز . كفى أيها اللعين .. لم يبق لدي من الوقت ما يسمح لي بأن أعلم من أنت ارسلك ، وليس يهمني هذا الآن ، فالوقت ضيق ، ولن أترك لك الفرصة لتبلغ من تريد تبليغه ، ما رأيت ..

ـ لا بد أن البوليس يبحث عني منذ تغيبت ..

ـ لقد حضر رجـــلان من رجال البوليس ، في أول ليلة اختفيت فيها .. إلى هنا .. وكلاهما كان صديقاً لي .. وقد سألاني كل ما أعلم عن المستر ميدوز .. فأظهرت عجبي لاختفائه ، وأعتقد أن أحداً منهما ، لا يتطرق الى ذهنه ادنى شك ، ان الرجل الذي يبحث عنه صريع تحت أقدامه ولا شك ، انك لم تنس خروجك من هذا المنزل سليما معافى ولا أظن ان هناك عقلية في العالم تشك في وجودك عندي ..

ـ انك لا تستطيع أن تبقيني هنا الى الأبد !

ـ لن احتاج إلى ذلك ، وقد أبقيك إلى مساء الغد .. وهنـــاك قـــارب صغير ينتظرك ببابي لتقوم فيه برحلة ، تسترد فيها صحتك .. إلى الأبد .

ـ اني أعجب ، لم لم تصرعني في تلك الليلة ؟

ـ إن الجثث تفوح رائحتها في مثل هذا المكان يا عزيزي ، ولذلك أجلنا ذلك إلى حين وصول الزورق .

وفهم تومي ، انه على حق في ذلك ، فعندمـــا يصل الزورق ، يستطيعون قتله ونقل جثته ليقذفوا بها في اليم ، بعيداً عن استراحـة المهربين .

وقال هايدوك في برود ·

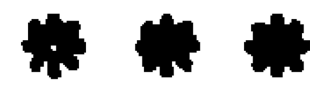
ـ لقد أتيت لأسألك ، عما إذا كانت لك رغبة تود أن نحققها لك ،

فيا بعد ، اذا أردت ان تبعث برسالة الى صديق لك ، فثق اننا على استعداد لإسداء هذه الخدمة ..

وفهم تومي أن الرجل يحاول ان يستدرجه ليعرف شيئاً عمن يتصل به فأجاب :

— كلا واشكرك !

وأشار هايدوك الى آبل دور ، فقام هذا على الفور باعادة الأربطة والكمامة وترك الرجلان القبو بعد ان أغلقا الباب خلفهما !



وأحس تومي بالأسى ، لا لأنه سيموت بعد ساعات ، ولكن لأنـه لا حيلة له في ترك اي دليل يشير إلى المعلومات التي حصل عليهـا ، وفكر في توبنس .. ان غيابه لا بد ان يكون قد اقلقها .. ولكن لن يخطر ببالها ان تشك في هايدوك بالذات .. بل انـه يعتقد انها لن تشك في احد على الاطلاق إذ ستتوقع أنه يقوم بمهمة وسيعود منها ، واخذ يفكر في الاستغاثة ولكن فمه كان محكماً ، وفي نصف الساعة التالي حـاول فك قيوده ، دون جدوى !

وقدر ان الوقت قد اضحى بعد الظهر ، ولم يسمع صوتـاً أو حركة فوقه ، فاستنتج أن من بالدار قد رحلوا ، ولعل هايدوك الآن يلعب الجولف في النادي ، واستشاط تومي غضباً ، كيف ان احداً لم يشك في هـذا المخلوق ذي السحنة البروسية .. يا له من ممثل بارع ! أما هو فقد وقع في الفخ كالفر !

لو كانت توبنس تتنبأ وتشك ، إنها احياناً تلهم !

ما هذا ؟.

وأخذ يتسمع الى صوت يأتي من بعيد ! صوت رجل يــترنم بلحن ! ولكن ما الفائدة ! إنه لا يستطيع ان يصدر اي صوت يلفت الانظار اليه واقترب الصوت ..

انه لحن مألوف لديه !

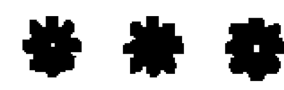
« لو كنت انت الفتاة الوحيدة .. وكنت انا الفتى الوحيد .. »

لقد غنى هذا اللحن كثيراً في عام ١٩١٧ .. لعنة الله على صاحب هذا الصوت !

وفجأة تخشب جسد تومي واهتز في عنف ..

انه يعرف صاحب هذا الصوت ، وقال في نفسه ، انه البرت بلا شك .. البرت يسير بجوار « استراحة المهربين » .. بالقرب منه ، ولكنه لا يستطيع ان ينبس بأي صوت ، كلا . إن كل انسان يستطيع ان يحدث اصواتاً وفمه مطبق ، فليجرب ذلك !

فأخذ يموء موءات منقطعة ، كمن يرسل إشارة لاسلكية ..



كانت حالة البرت بعد ان ترك تومنس على غير ما يرام ، فعجب من هؤلاء الألمان الذين يحيون هتلر مئات المرات في اليوم الواحد ويسيرون بخطوة الأوزة ، ويدمرون بلاد العالم بقنابلهم كأنهم طاعون يفتك بالناس ، عليهم اللعنة !

يجب ان يوقفوا عند حد .

وهذه السيدة برسفورد ، ان لها عليه أيادي بيضاء .. والسيد برسفورد .. أين هو الآن يجب أن يجده لها ..

وخرج يبحث عن سيده دون ان يرسم لنفسه خطة ما . فسار كالكلب الأمين ، يتشمم رائحة سيده ، وكان قد علم أن الكابتن برسفورد قد تناول طعامه في منزل الكوماندور هايدوك في « استراحة المهربين » ويقال انه عاد بعد ذلك إلى « سان سوسي » ..

إذن يجب عليه أن يبدأ من حيث انتهى سيده ..

فوقف على أبواب سان سوسي ، عدة دقائق .. ينظر يمنة ويسرة عسى أن يجد شيئاً يلفت النظر ، ولكنه لم يجد شيئاً ، فاتجه صعداً إلى قمة التل متجهاً إلى استراحة المهربين ..

سار يسلي نفسه بترديد ذلك اللحن :

« لو كنت أنت الفتاة الوحيدة .. وكنت أنا الفتى الوحيد .. »

وتوقف البرت لحظة ، متطلعاً إلى أبواب « استراحة المهربين » وقال في نفسه ..

« هنا تناول السيد برسفورد طعامه » .. ودار حول المكان من بعيد . فرأى الأبواب تفتح ، وتخرج منها سيارة ، رأى فيها رجلا ضخماً ، يصحب معه أدوات لعب الجولف .. إذن هذا هو الكوماندور هايدوك ، وبعد لحظة رأى رجلا .. يخرج من باب الحديقة .. وقد أمسك بفأس في يده ..

وعاد البرت يترنم باللحن مقترباً شيئاً فشيئاً من المنزل . وهو يراقب الرجل الذي بدأ يفلح الحديقة ..

وفجأة قال البرت لنفسه مندهشاً .. « ما أجمل هذا ! يظهر ان الكوماندور يربي الخنازير . ما أغرب ذلك ! إن هذه لا يمكن أن تكون خنازير . هل هو غطيط نائم ؟ ومن ينام في مثل هذا القبو . ثم هذا

الغطيط المنظم . انه .. انه يذكره بشيء .. طال به العهد . ما هو ؟ انه قريب الشبه بالشفرة .. شفرة الاستغاثة .. »

وعاد يتسمع من جديد ، ثم تلفت حوله يمنـــة ويسرة ، وركع على ركبتيه ، ونقر على شباك القبو ، عدة نقرات وكأنـه يجيب على تلك الإشارة .

الفصل الثالث عشر

لم تكن توبنس في حالة طبيعية ، عندما ذهبت الى فراشها في المساء ، ولما أصبح اليوم التالي ووجدت رسالة لها ، تغيرت حالتهـا ففضت الرسالة ، وقرأت فيها :

« عزيزتي باتريشيا :

ة العمة جراسيا بحالة خطيرة اليوم . وقد قرر الأطبـاء انها قاربت النهاية ، إذا أحببت أن تريها يجب ان تحضري اليوم . إذا ركبت القطـار الذي يتحرك في العاشرة والثلث الى محطة « يارو » ستجدين صديقاً معه سيارة، وكان بودي ان أكتب لك في ظرف أحسن من هذا ..

بنلوب بلين »

قرأت توبنس الخطاب ، ثم ظهرت على محياها علامات الأسى ، وكانت مسز أوروك ومسز منتون موجودتين فأخذن جميعـاً يتحدثن عن أمراض أقاربهن ، وبعد أن تناولن طعام الافطار ، قامت توبنس الى التليفون والغت موعدها مع حائكة الثياب وقابلت مسز برينا وشرحت لها الموقف قائلة انها تغيب عن المنزل ليلة او اثنتين .

فقابلت مسز برينا الخبر بعبارات المواساة المعتادة في مثل هذه الظروف ، وقالت :

– لم تأت حتى الآن يا مسز بلنكنسوب أية أخبار عن مستر ميدوز، وهذا أمر في غاية الغرابة .

فقالت توبنس :

– لا بد أن يكون قد أصيب في حادثة و . .

– ولكن يا مسز بلنكنسوب ، لو كان الأمر كذلك لسمعنا به فقد مضى وقت طويل .

– إذن بماذا تفسرين سبب غيابه ؟

– لعمري لست أدري ما أقول ، واني أوافق تمام الموافقة على انه لم يختف بمحض إرادته وإلا لكان أنبأنا على الأقل .

– ربما يكون قد فقد ذاكرته فجأة ، فهذا أمر كثير الحدوث في هذه الأيام .

– ربما . . وعلى العموم يا مسز بلنكنسوب نحن لا نعلم كثيراً عن حقيقة مستر ميدوز ، اليس كذلك ؟

– ماذا تعنين ؟

– في الواقع لا أصدق كل ما أسمع ، ولكن . .

– تصدقين ماذا ؟

– تلك القصة التي يرددونها .

– أية قصة ؟ إنني لم أسمع شيئاً . .

– طبعاً . . انهم لا يقولوا لك شيئاً انت بالذات ، وقد سمعتها لأول مرة من المستر كايلي ، وهو كما تعلمين رجل كثير الشكوك .

– أرجوك ان تخبريني بما تعلمين .

– حسناً ، انه مجرد افتراض . . انهم يقولون ان المستر ميدوز من عملاء الأعداء او بعبارة أخرى من رجال الطابور الخامس .

– لم أسمع هذا الهراء قبل الآن .

– ربما لا يكون صحيحاً ، ولكن . لقد رؤي كثيراً مع ذلك الشاب الألماني . وأظنه كان كثير التساؤل عن تقدم العمل في المصنع الكيماوي فاستنتج الناس أنهما كانا مشتركين في العمل لحساب العدو .

– أظن انك أنت شخصياً يا مسز برينا لا تشكين في كارل

– أتمنى ألا يكون ما يقال صحيحاً

– وعلى الخصوص ان شيلا المسكينة انفطر قلبها حزناً ولست أدري لماذا شاءت ظروفها ان تحب ذلك الفتى .

– إن الأمور دائماً تسير على غير ما تهوى .

– أنت على حق في ذلك . هكذا الدنيا أحزان وآلام .

وفجأة سمعنا صوت مسز اوروك تقول :

– هل قطعت عليكما الحديث ؟

فقالت مسز برينا :

– لا أبداً ، فقد كنا نتحدث في غياب المستر ميدوز وكيف ان البوليس لم يعثر له على أثر ، لا شك انك سمعت القصة .

فقالت مسز أوروك :

– البوليس ! ماذا يمكننا ان ننتظر من ورائه ، انه لا يصلح الا لمخالفة السيارات وتحرير المحاضر لأصحاب الكلاب غير المرخص بها .

فسألتها توبنس عن رأيها في غياب مستر ميدوز ، فأجابت :

– لا شك انك سمعت القصة .

– قصة انه فاشستي وانه من رجال الأعداء ، هذا هراء .

– ربما كان ذلك صحيحاً . فقد كنت أراقبه من اول الأمر ، وأحسست انه ليس رجل أعمال متقاعد كما يدعي : بل أدركت انه أتى الى هذا المكان لحاجة في نفسه .

فقالت توبنس :

– وعندما أحس بأن البوليس وراءه اختفى . اليس كذلك ؟
– ربما كان الأمر كذلك . والا فما رأيك انت يا مسز برينا ؟
– لا أدري !

فسألتها تويتس :

– لم تقولي لنا أنت ما رأيك يا مسز أورورك .
– اني أعتقد ان الرجل بمأمن من الخطر .

وصعدت توبنس الى غرفتها لتمد حقائبها فجرت نحوها بتي الصغيرة خارجة من غرفة آل كايلي وهي تصيح :

– بطتي .. بطتي .

فردت عليها توبنس قائلة :

– أهي فوق ؟

فأجابت بتي :

– تحت .

وظهرت مسز سبروت في تلك اللحظة فأخذت الطفلة تصيح :

– اخفيني . اخفيني .

فقالت مسز سبروت :

– انك لا تستطيعين ان تقومي بلعبة الإخفاء الآن .

* * *

عندما دخلت توبنس غرفتها لاحظت ان يداً عبثت بقبعاتها فتلفتت حولها في الحجرة فتأكدت أن العبث كان في كل مكان انهم يبحثون عن شيء لن يجدوه وتركت الخطاب الذي وصلها صباح اليوم على منضدة الزينة ثم خرجت من المنزل

ونظرت في ساعتها . كانت العاشرة وقالت لنفسها : لا يزال هناك متسع من الوقت ولا بد من النجاح .

* * *

نزلت توبنس في محطة (يارو) فوجدت سيارة تنتظرها يقودها شاب قال لها :

– تفضلي يا سيدتي .

وبعد ان سارت السيارة مسافة قصيرة وسط الأحراش توقفت ونزلت توبنس فوجدت انتوني مارسدون في انتظارها فقال لها على الفور :

– ان برسفورد بخير وقد خلصناه من الأعداء . اذ كان قد وقع أسيراً في يدهم ولا يمكن أن ترينه في الوقت الحاضر لأسباب خارجة عن ارادتنا .. ثم أن هناك مهمة يجب إنهاؤها ..

ونظرت توبنس الى كومة من القماش ملقاة بعيداً فسألت :

– ما هذا ؟

– إنه أمر في غاية الخطورة .. انه بقايا (باراشوت) هبطت به فتاة قبض عليها رجالنا وكانت ترتدي ثياب الممرضات وعرفنا انها مكلفة بمهمة سرية .

– ثم ماذا ؟

– اذا أحببت فانك تستطيعين ان تحلي محلها وتقومي بدورها لتكتشفي كنه مهمتها .

– انني على استعداد ..

– ما أقوى أعصابك يا مسز برسفورد !

– ماذا علي أن أفعل ؟

- ان التعليمات التي معها ليست واضحة ، ولكننا وجدنا ورقة مكتوبة بالألمانية في جيب الفتاة جاء فيها دوسيري الى «ليزريارو» حتى تقاطع الطريق ثم شارع آسال رقم ١٤ .. الدكتور بينيون .

ونظرت توبنس الى حيث أشار مارسدون ، فرأت تقاطع الطريق .. وقال الشاب :

- هناك ، ستسيرين في ذلك الطريق نحو خمسة أميال على الأقل .

- ان السير على الأقدام رياضة جميلة ، وأرجو ان يقدم لي الدكتور بينيون طعام الغداء ..

- هل تتكلمين الألمانية يا مسز برسفورد ؟

- بضع جمل فقط .. لكني سأصر أن يكون الحديث بالانجليزية ، وأقول أن تعليماتي تقرر ذلك .

- انك تخاطرين .

- هراء ! من يتخيل انني بديلة لتلك التي هبطت بالباراشوت.

- لقد حسبنا حساب كل ما قد ينتظر ، فحجزنا الرجلين اللذين قبضا على الممرضة الألمانية رغم انهما من رجالنا زيادة في الحيطة ، والآن سنبدأ في عملية التنكر .

وبعد نصف ساعة ظهرت توبنس وقد تغير شكلها ، وتقدمت بها السن عشر سنوات واعرض فكاها ، نتيجة لقطع المطاط التي وضعت داخل فمها لتتخذ هيئة الممرضة الألمانية ، فقال مارسدون :

- ستعلمين منه بالتحديد أين ومتى وكيف سيقع الغزو ؟

- لا تخشى علي يا طفلي العزيز .

وقفت توبنس أمام المنزل رقم ١٤ شارع آسال ، فلاحظت من لوحة الدكتور بينيون انه طبيب أسنان ، كما لاحظت من طرف عينيها أن مارسدون كان يراقبها من بعيد في سيارته ، فأدركت ان سيرها على الأقدام كانت له

حكة ، فان طائرة كانت تتبعها طوال سيرها ، وفهمت ان العدو كان حريصاً على عدم ركوبها في سيارة حتى لا تحدث أي متاعب كانت .

صعدت تربنس درجات المنزل حتى وجدت باب العيادة . فضغطت الجرس وظهر وراء الباب وجه سيدة انجليزية عجوز ؟.

– هل الدكتور بينيون موجود ؟

– هل أنت الممرضة ايلتون ؟

– نعم ..

– إذن ، إتبعيني ..

ودخلت توبنس ، فقالت السيدة المسنة بعد أن أغلقت الباب :

– أرجو أن تنتظري .. ريثما أخبر الدكتور .

وانتظرت توبنس ان يفتح الباب ويظهر لها الدكتور بينيـون . ترى من يكون؟ هل هو شخص غريب عنها ؟ أو شخص سبق ان رأته ؟ وماذا يحدث لو كان الدكتور بينيون هو الشخص الذي تفكر فيه ؟

وفتح الباب .. وخرج منه رجل لم يخطر على بال توبنس مطلقاً .

الكوماندور هايدوك !

الفصل الرابع عشر

تمالكت توبنس أعصابها ، وتناست الى حين .. الدور الذي استنتجت أن الكوماندور هايدوك قد لعبه في اختفاء تومي – وكان لا بد لها أن تتمالك أعصابها – فعليها أن تعمل المستحيل حتى لا يكتشف دورها ، وقفت على قدميها ، كأي إمرأة ألمانية تواجه رئيسها .

– إذن حضرت .

– نعم ، إنني الممرضة ايلتون .

وابتسم هايدوك كما لو قد سمع دعابة وقال :

– عظيم ، عظيم . ايتها الممرضة ايلتون ، تفضلي بالجلوس .

– أعتقد أنه علي ان أتلقى منك تعليمات

– أتعلمين اليوم ؟

– انه الرابع .

– إذن أنت تعلمين ذلك .

وعقد ما بين حاجبيه .

فقالت توبنس بعد فترة سكون :

– أرجو أن تحدثني عما يجب علي أن أفعل .

– كل شيء في أوانه يا عزيزتي

ثم قال بعد لحظة :
– قد سمعت بلا شك عن سان سوسي .
– لا . .
– ألم تسمعي عنها ؟
– لا .

فابتسم الكوماندور إبتسامة غريبة .

– إذن انت لم تسمعي عن سان سومي ! إن هذا ليدهشني كثيراً ، فا أعلم انك كنت تقيمين هناك طوال الشهر الماضي ، اليس كذلك يا مـ بلنكنسوب ؟

– اني لا أفهم مـا تعني يا دكتور بينيون . لقـد هبطت بالباراشو صباح اليوم .

– آه . إنني لست الدكتور بينيون يا عزيزتي . الدكتور بينيون هو طبيـ وقد سمح لي باستعارة عيادته بعض الوقت .
- حقاً !!

– حقاً يا مسز بلنكنسوب !. او لعلك تفضلين أن أخاطبـك باسمـ الحقيقي يا مسز برسفورد ! لقد انكشفت اللعبة أخيراً .. وقال العنكبو للذبابة : « هـــذا أنت قد وقعت في خيوطي » . وأحب أن أنبهك ا نصيحة هامة . هي ألا تصيحي فتزعجي الجيران . فستقتلين قبل أن تفتحي فاك ، ثم لا تنسي أن هذه عيادة طبيب أسنان ، وكثيراً ما سـ الجيران أصوات المرضى .

– يخيل الي انك فكرت في كل شيء ، ولكن هلا حسبت حساب أن أصدقاء بالخارج يعرفون أين أنا ؟

– أوه .. هل تفكرين في الشاب انتوني مارسدون ؟ يؤسفني يا مـ برسفورد ان أصارحك بأن انتوني من أنشط الشبان الذين يعملون تحـ

إمرتنا ، وقد استطاع بلباقته بعد أن عرف عنك كل شيء من ابنتك — أن يحملك تؤمنين بقصة الباراشوت بكل بساطة .

— لست أفهم معنى هذا ..

— حقاً !. لقد عملنا على أن يفقد أصدقاؤك أثرك إذا تتبعوه ، وقد يصلون إلى محطة بارو ، فيعلمون انك ركبت في سيارة مع أحد الشبان . أما المرضة التي لا تشبهك من قريب او بعيد ، والتي سارت على قدميها بين الساعة الواحدة والثانية في مدينة ليبرزيارو ، فان أحداً لن يدرك أن ثمة علاقة بينها وبين اختفائك .

— وبعد ؟

— إنني معجب بأعصابك .. بل أنا شديد الإعجـــاب ، ويحزنني استعمال الشــدة معك ، ولكنني مضطر لأن أعـلم بالضبط ، كل مـا اكتشفت في سان سوسي .. واني أنصحك . ولعلك تدركين ما قد يقود اليه عنادك .

فنظرت اليه توبنس بازدراء . فاستطرد

— نعم . انني اقدر ما تتميزين به من ثبات وعزم ، ولكن . مـاذا عن الوجه الآخر للصورة ؟

— ماذا تعني ؟

— اني أقصد زوجك . توماس برسفورد . الذي كان يقيم الى عهد قريب في سان سوسي ، تحت اسم « مستر ميدوز » ، والذي يقيم الآن في قبو منزلي .

— تومي !. لا أصدق ذلك .

— بل يجب أن تصدقيه .. فان تومي العزيز ، كان ولا يزال ، في قبضة يدي ، فاذا أجبت على أسئلتي أنقذته .. أما اذا رفضت ، فستسير الأمور على النحو المرسوم لها .. إذ سيقتل ، ويقذف بجثته في

أعماق اليم .

– ماذا تريد أن تعرف ؟

– لحساب من تعملين ؟ وما هي وسيلتك للاتصال بهم ؟ وما هي المعلومات التي أبلغتها لهم حتى هذه اللحظة ؟ وبعبارة أخرى كل ما تعلمين .

فهزت توبنس كتفيها وقالت .

– أستطيع أن أقول لك من الأكاذيب ما يحلو لي .

– كلا ، انك لا تستطيعين ذلك .. لأنني سأبدأ بفحص كل ما تقولين ، ثم لا تنسي يا سيدتي العزيزة ، انني اقدر مشاعرك نحو هذا العمل .. ثم انني أقدر كل مجهوداتك انت وزوجك .. ونحن في حاجة الى أناس من أمثالكما ، لبناء الدولة الجديدة ، التي ستقوم على أنقاض هـــذه الدولة الغبيـــة .

نظرت توبنس اليه ، ثم راحت تبحث عن كلمة ترد بها عليه ، وقالت دون وعي منها :

– أحلام ساندريلا ! أحلام ساندريلا !

وأرادت بعبارتها التهكمية هذه ، أن تشبه آمال النازيين بقصة الأطفال المعروفة التي رأت كتابها مع الطفلة بتي ..

ولكنها دهشت عندما وجدت وقع هذه الكلمات على هايدوك كأنه السحر ، بـــل انها فزعت ، لما رأته على وجهه ، اذ قفز واقفـــاً ، مقتم الوجه .

ورأت فيه توبنس فجأة ، ما رآه تومي من قبل .. الضابط البروسي الفظ ، الذي أخـــذ يسبها باللغة الألمانية بأوقح الألفاظ .. ثم قـــال بالانجليزية :

– أيتها المخبولة ، انك لا تدركين نتائج إجابتك هذه .. لقد حكمت

بالاعدام على زوجك وعلى نفسك .

ثم صاح باعلى صوته :

– آنا ..

فدخلت المرأة التي فتحت الباب لتوبنس ، فدفع هايدوك مسدساً في يدها وقال لها :

– راقبيها ولا تترددي في إطلاق النار اذا احتاج الأمر .

وخرج كالعاصفة من الباب وأغلقه وراءه ..

فقالت توبنس لآنا :

– أستقتلينني حقاً ؟

– لا تحاولي ان تخدعيني .. لقد قتل ولدي « أوتو » في الحرب الماضية وكان سني حينئذ ثمانية وثلاثين عاماً ، وقد أصبحت في الثامنة والستين الآن ورغم ذلك .

وقد ذكر توبنس وجه هذه المرأة ، تلك المرأة الغريبة ، واندا بولونسكا والأمومة .. بل إحساس كل امرأة تفقد طفلها .

ولمعت فكرة في رأس توبنس .. تلك الحكمة التي حاولت طويلاً أن تتذكرها عن سليمان الحكيم .

وفتح الباب ودخل الكوماندور هايدوك ، وقال في غضب :

– اين هي ، اين اخفيتها ؟

فحملقت فيه توبنس ، فان سؤاله لم يكن له معنى في نظرها لأنها لم تأخذ شيئاً ولم تخف شيئاً .

وقال هايدوك لآنا :

– اخرجي !

فسلمته المرأة المسدس وخرجت .

وجلس هايدوك على أحد المقاعد ، وكان واضحاً انه يبذل جهداً جباراً

ليتمالك اعصابه . ثم قال :

– لن تستطيعي الانتفاع بها . فأنت هنـــا تحت رحمتي .. ولدي من الوسائل ما أحمل به النامر على الكلام، وستضطرين تحت ضغط هذه الوسائل، أن تعترفي لي بالحقيقة ماذا فعلت بها ؟

ورأت توبنس أن هذه فرصتها الوحيدة للمساومة ، لو استطاعت أن تعرف ما هي « هذه » التي خبأتها .

فقالت في حذر :

– كيف عرفت أنها في حوزتي ؟

– من كلامك أيتها الغبية .. واني أعلم انها ليست معك الآن ، فقـد غيرت ملابسك .

فقالت توبنس :

– إفترض انني أرسلتها بالبريد إلى بعضهم ..

– لا تكوني غبية . فان كل ما يرسل بالبريد يفحص . واني واثق انك لم ترسليها بالبريد .. وهناك وسيـــلة وحيدة .. وهي انك خبأتها في سان سوسي هذا الصباح قبل خروجك . وإني أسمح لك بثلاث دقائق لتقولي أين خبأتها ..

ووضع ساعته على المنضدة وقال :

– ثلاث دقائق يا مسز توماس برسفورد .

وأخذت دقات الساعة تسمع في الغرفة . وجلست توبنس صامتة دون أن يبدو على وجهها أي تغيير ، وانكشف لها في تلك اللحظات كل ما كان خافياً عليها ..

وقال هايدوك فجأة :

– بقيت لك عشر ثوان

فأخذت تراقبه ، كما لو كانت في حلم ، وقد رفع مسدسه في يـده وهو

يعد : واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة .

وعندما وصل العد إلى ثمانية . إنطلقت الرصاصة .. وانقلب بمقعده ..

لم يكن قد لاحظ تحت تأثير حالته العصبية ، ومراقبته للساعة ، أن الباب كان يفتح ببطء .

وقفت توبنس على قدميها ، واتجهت مسرعة نحو الرجال الذين دخلوا من الباب وصاحت :

– مستر جرانت .. لقد تخلصنا الآن من « ن » .

– نعم .. نعم يا عزيزتي . وأنت بخير الآن .

– إذن أسرعوا ، فليس لدينا وقت .. ألديكم سيارة هنا ؟

– نعم ..

– هيا إلى سان سوسي .. حالاً .. قبل ان يتصل به أحد هنا ، ولا يجد رداً ..

وأخذ عداد السرعة في السيارة يتحرك نحو النهاية ..

ولم ينطق أحد من راكبي السيارة ، بحرف واحد ، فيما عدا توبنس ، التي قالت :

– تومي ..

فأجابها جرانت :

– بخير ..

وأخيراً وصلت السيارة ، فقفزت توبنس وتبعها جرانت ، وأخذا يرتقيان الدرج في سرعة جنونية .. فلمحت توبنس الأدراج في غرفتها مقلوبة رأساً على عقب ، فمرت بها ودخلت إلى غرفة آل كايلي ، وسارت إلى الفراش ورفعت الأغطية .

ثم استدارت إلى مستر جرانت ، وقدمت اليه أحد كتب الأطفال وقالت له :

– ها أنت تجد كل ما تريد في هذا الكتاب ..

وسمعا في هذه اللحظة صوتاً يقول :

– ماذا يجري هنا ؟

والتفتا نحو الباب فرأيا مسز سبروت واقفة به .

فقالت توبنس :

– والآن أقدم لك (م) . نعم مسز سبروت .. كان يجب أن أعرف ذلك منذ حين .

الفصل الخامس عشر

جلس تومي ومستر جرانت والبرت يحتسون الشراب ، وقد وقفت توبنس تقول :

– كان يجب أن أعرف ذلك منذ حين .

فقال تومي :

– حدثينا بما عندك .

– عليك أن تبدأ أنت أولاً .

– ليس لدي كثير .. إن حادثاً عارضاً هيأ لي الكشف عن سر الجهاز اللاسلكي المخبأ في حمام استراحة المهربين .. وقد خيل إلي إنني خرجت بهذا السر .. ولكن هايدوك كان أحرص عليه مني ..

فقاطعته توبنس :

– فاتصل بمسز سبروت تليفونياً ، فانتظرتك بباب الفيلا ومعها مطرقة .. وقد غابت عن لعب الورق ثلاث دقائق فقط ، ولاحظت فعلاً انها كانت تلهث لما عادت ، ومع ذلك فلم أشك فيها مطلقاً .

فقال تومي :

– يأتي بعد ذلك دور البرت ، فقد اكتشف الرسالة اللاسلكية التي بعثتها اليه من أنفي ، فاتصل بمستر جرانت ، وحضر كلاهما في تلك الليلة ،

واتفقا على أن أبقى حيث أنا ، حتى يتاح لنا القبض على الجماعة التي وكل اليها أمر قتلي وقذف جثتي في البحر .

فقال مستر جرانت :

— وعندما خرج هايدوك من استراحة المهربين احتل رجالي المكان .

فقالت توبنس :

— كنت أعني الجميع اذ انني شككت في كل النزلاء ، مـــا عدا مسز سبروت ، وعندما استمعت الى ذلك الحديث التليفوني عن الرابع من الشهر ، كان هناك ثلاثة أشخاص في المنزل .. شككت في اثنتين هما المسز برينـا والمسز اوروك ، ثم اتفقت مع البرت على ما يفعل .. وفجـأة ظهر انتوني مارسدون على المسرح ، وقد اقنعني في أول الأمر ، أنه على علاقـــة بابنتي ديبورا ، ولكني تذكرت انني لم أره يزورنا من قبل ، ورغم انه أظهر لي انه يعلم كل شيء عن عملي في سان سوسي ، فقد صدق أن تومي في اسكتلندا فرأيت أن ذلك من الغرابة بمكان ، إذ أنه ليس هناك من يعلم حقيقة عملي في سان سوسي سوى مستر جرانت ، الذي كان قد أخبرني أن رجال الطابور الخامس منتشرون في كل مكان .

فصممت على أن أكشف حقيقة مارسدون هـــذا ، فقلت له شيئاً عن العمة جراسيا ، وصديقتي بنلوب بلين باعتبارهما من الوسائل التي يتصل بي تومي بها . وقد نجحت الخطة ، فقد وصلني خطـــاب من صديقتي بنلوب بالبيت المزعومة ، فتأكدت ان لعبتي قد جازت على مارسدون ، ولم يكلفني اتمام خطتي سوى حديثي لحائكة الثياب بالتليفون التي الغيت معها الموعـد المتفق عليه .

ولم يكن في الواقع حديثي هذا إلا مع البرت الذي فهم كيف يتصرف من ناحيته ثم سرت إلى نهاية الشوط وأنا أعلم ان مستر جرانت على علم بأنني في طريقي إلى يارو . كما أخبره البرت ..

فقال مستر جرانت .

- وقد أدينا واجبنا على خير وجه . فقد تبعناك خطوة خطوة .. دون أن يشعر الأعداء حتى وصلت إلى عيادة الطبيب ، وقد عرفنا كيف نحتال على تلك المرأة الالمانية ، فدخلنا في الوقت المناسب .

فقالت توبنس :

- كنت أعلم انكم آتون وكل ما فعلت انني أطلت الوقت مع هايدوك .. والغريب في الأمر ان المعضلة كلها انحلت في تلك اللحظات ، وعندما قلت « احلام ساندريلا » انقلب كيان هايدوك وتبين لي أن ذلك لم يكن بسبب سخافة ما قلت .. ولكن لأن وراء تلك الكلمات سراً خطيراً بالنسبة اليه ، ثم ما بدا المرأة الالمانية آنا ذكرني بما بدا على وجه واندا بولونسكا البولونية ، وعندئذ تذكرت سليمان الحكيم واكتشفت الأمر كله هو ان بتي لم تكن ابنة مسز سبروت .

فصاحوا جميعاً ، وكيف ذلك !

فقالت توبنس :

- أتذكرون المرأتين اللتين ذهبتا إلى سليمان الحكيم بطفل وكل منهما تدعي على انه ولدها ، وكيف أن سليمان حكم بقسمة الطفل بينهما . فرضيت الأم الزائفـــة بذلك ، ولكن الأم الحقيقية ، فضلت أن تأخذه الأخرى على ان تراه يذبح ..

والذي حدث في تلك الليلة ان قتلت مسز سبروت المرأة الأخرى ، وقلتم جميعاً حينئذ ، انها معجزة دامية ، انها معجزة الغريزة . فقد كان من الجائز جداً ان تصاب الطفلة .. والواقع انه لو كانت الطفلة ابنة مسز سبروت ما خاطرت باطلاق النار ، ومعنى هذا ان بتي لم تكن ابنتها .

- ولكن كيف !.

- لأن واندا بولونسكا هي أم بتي الحقيقة وتذكرت احساسي يسبق رؤيتي

لوجهها عندما رأيتها اول مرة . كان الشبه بينها وبين بتي هو السبب في ذلك الاحساس .

– يا للمسكينة .. لقد سمحت لمسز سبروت بتبني طفلتها فلاقت حتفها

– ولكن لماذا أرادت مسز سبروت ان تتبنى طفلة ؟.

– لسبب بسيط ، فان أحداً لم يشك اطلاقاً في مسز سبروت ، إذا لم يحدث في تاريخ الجاسوسية .. ان كانت هناك جاسوسة تصحب معها طفلة . ولا شك انكم تذكرون ان مسز سبروت رفضت استدعاء البوليس إذ كانت تعلم انها رغم ما دفعت من نقود لتلك المرأة ، لم تستطع ارضاءها وأدركت ان الأم هي التي استعادت طفلتها ، وخشيت أن يكتشف البوليس الحقيقة ، فعمدت إلى كتابة تلك الرسالة التي زعمت انها وجدتها في غرفتها ، ثم تحايلت على استدعاء الكوماندور ليساعدها في محنتها .

ثم حدث ما تعرف اما عن عبث بتي بأربطة حذائي فلا شك انها كانت ترى مسز سبروت تفعل ذلك بواسطة الأربطة المشبعة بالسم ، ولم يكن لكارل يد في تلك الجريمـــة ، إذ لا بد ان رأت مسز سبروت بتي تقلدها في غرفتي زيفت أدلة ضد كارل وقبض عليه إذ وجدت بعض الأربطة المسممة في حجرته وفي معمله .

وقال مستر جرانت :

– وهناك فائدة أخرى من وجود الطفلة مع مسز سبروت .. لقد جعلت من أقاصيصها القديمة سجلاً لأعمال الجاسوسية وحرمت على الطفلة أن تلعب بها بأشياء قذارتها .. لقد كشف اخصائيون في كتاب « أحلام سندريلا » ، معلومات هامة عن الأسطول كتبت بحبر سري ، كذلك بقيت الكتب .. ولقد كان الفضل كله لك يا سيدتي ..

بقيت بعد ذلك مفاجأة يسرني أن أخبركم بهـا . ان كارل فون دينيم

ليس كارل فون دينيم على الاطلاق .. انـه صديق لصاحب ذلك الاسم الذي قتله النازي .. ومنذ سنوات كلفنا أحد رجالنا بمهمة في المـــانيا فتعرف إلى كارل فون دينيم الحقيقي، وقد عرف أسرار عائلته ، فلمـــا قتل كارل الحقيقي اتخذ رجلنا شخصيته وانتحل اسمه اتماماً للمهمة المكلف بها .

وقبل الحرب مباشرة عاد إلى انكلترا والتحق بالعمل في معمـــل الكيمائية منتحلاً شخصية كارل فون دينيم إتماماً لمهمتنا .. ولقد عرفت شيئاً أخيراً ، وقبلت ان تتزوج به عندما طلب يدها .

جريمة القطار

- ١ -

كانت الساعة الخامسة والدقيقة ٣٢ تماماً من مساء الجمعـــة ٩ ديسمبر ، عندما تسلم ناظر محطة (ايترلي) الاشارة التـــالية من محطة فوريست هيـــل :

« قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ القادم من لندن قد مر الآن ، إحدى مركبات الدرجة الأولى مظلمة تماماً ، ابحثوا عن الأسباب » .

وقرأ ناظر المحطة هذه الاشارة وعقب عليها بقوله :

– لا بد أن (الكوبس) احترق ، أو يكون أحد الأسلاك قـــد أصابه تلف .

ثم التفت إلى مساعده وقال :

– احضر مصباحاً يا ويب .. وأسرع ، فإن القطار سيصل بعد لحظات ، ان أي تلف في جهاز الاضاءة لن يتيسر اصلاحه إلا في محطة كرويدن .. ولا سبيل إلا أن تزود المركبـــة بمصباح غـــاز لإضاءتها إلى ان تصل إلى كرويدن .

قال ذلك وتناول مصباحاً ليستعين به في سيره ، فقد كان الضباب كثيفاً

مما زاد الظلام حلكة

وانتقل الناظر إلى الرصيف الأخير عبر النفق الذي يمر تحت القضبان الحديدية ، واستعد لاستقبال القطار ..

ووصل القطار في الوقت المحدد تماماً ، أي في الساعة الخامسة والدقيقة ٤٢ ، وكانت هذه أول محطة يتوقف فيها منذ بداية رحلته من لندن .

وكانت العربات غاصة بالركاب إلى حد الاختناق كما هي العادة . وما أن توقف القطار حتى نشطت الحركة في المحطة وتدفق الركاب من وإلى العربات، بينما هرول الناظر ومساعده على الرصيف وبيد كل منهما مصباح لتفقد النور في المركبات .

وأخيراً صاح ناظر المحطة :

- ها هي المركبة المظلمة ..

وأدهشه انه لم يجد أحداً من المسافرين يطـــل من نافذة المركبة ويحتج ويشكو من حالة الاظلام .

قال :

- يخيل الي أن المركبة خالية من المسافرين ، وهو امر غير مـــألوف في قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ . هلم بنا يا ويب .

وهم بالصعود الى المركبة ، ولكنه فوجيء ببابها مغلقاً ، وعليه لوحـة صغيرة تحمل كلمة (محجوزة) ؟

فهتف :

- ما معنى هذا ؟ اين مفتاحي ؟

وبحث في جيبه حتى عثر على المفتاح الذي يستخدم في فتح أبواب المركبات كافة ، ففتح باب المركبة وقال يحدث مساعده :

- دعنا نفحص مصابيح المركبة .

وصعـد إلى المركبة ، وحرك مصباحه في يد ليبدد الظلام الذي يخيم بداخلهـا .

ونظر ، فاذا بالنجفة المثبتة بسقف المركبة محطمة ، واللمبات الكهربية الثلاث مفقودة .

وأجال البصر حوله فرأى حطام النجفة واللمبات الثلاث على أحد المقاعد ووقع بصره في المقعد المقابل على ..

أفلتت من فمه صيحة ذعر ، وتراجع إلى الوراء خطوة أو خطوتين في هلع !.

ذلك انه رأى في ذلك المقعد ، جثة رجل جالس ووجهه نحو القاطرة ، وقد انحنى جسده إلى الأمام ، وتدلى من يده مسدس ، بينما كان بين عينيـه ثقب عميق لا شك انه من اثر رصاصة اطلقت على الرأس .

جمد ناظر المحطة في مكانه لحظة ، ثم تمتم حالما استرد انفاسه :

ـ انتحار ..

وأسرع بالخروج ، وأعاد غلق الباب ، وامر ويب أن يقف حارساً على المركبة ، ثم انطلق لينبىء سائق القطار ويخطر البوليس المحلي .

قيل في الأمثال :

(رب صدفة خير من الف ميعاد) ، وقد شاءت الصدفة أن يكون مستر مافريك ناركوم ، المفتش بادارة سكتلنديارد ، أحد المدعوين إلى حفل أقيم تكريماً لعمدة (ايترلي) .

وعندما اكتشف ناظر المحطة الحادث ، كان مستر ناركوم وبعض المدعوين يقفون على الرصيف الأخير في انتظار القطار الذي سيعود بهم إلى لندن ، وكان ناركوم يتوقع أن يلتقي في ذلك القطار بصديقه هركيول بوارو .. البوليس السري البلجيكي القصير القامة الأصلع الرأس .

وما أن علم مفتش البوليس بالحادث حتى انتقل إلى الرصيف الأخـير وأعلن شخصيته وشرع في العمل ، وعندما وصل رجال البوليس المحلي ، كان

ناركوم قد ألم بتفصيلات الحادث ، وقام ببعض الأبحاث !

كان أول ما فعله ، انه بحث عما إذا كان هناك اسم مكتوب على اللوحة التي تعلن ان المركبة محجوزة ، وقد وجد مثلاً ذلك الاسم مكتوباً بقلم ازرق وقرأ في اللوحة :

« محجوزة .. للورد ستافورنيل » !

وهتف :

– يا الهي !!

كان الاسم معروفاً جداً ، فلطالما تحدثت الصحف عن هذا اللورد ومبادله وانحلاله وسوء طباعه .

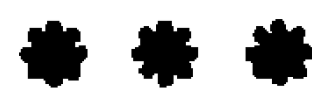
تمتم المفتش قائلاً :

– لقد لقي حتفه أخيراً !.

ثم التفت إلى ناظر المحطة وقال :

– اعطني مصباحاً وافتح باب المركبة ، ودعنا .

ولم يتم عبارته ، فقد دوى في تلك اللحظة صفير القطار المتجه الى لندن ، واقترن الصفير بجلبة شديدة ، فأسرع المفتش إلى الانتقال الى الرصيف الآخر عبر النفق ووجد بوارو يطل من نافذة إحدى مركبات القطار القادم ، فهرول اليه ، ودار بين الرجلين حديث سريع ، انتهى بأن وثب بوارو الى الرصيف قبل ان يتحرك القطار ويستأنف رحلته الى لندن .



وبعد قليل ، كان ناركوم وبوارو يجتازان النفق وهما يتحدثان بصوت خافت ، وعندما وصلا إلى المركبة المظلمة ، وجدا رجال البوليس المحلي بقيادة أحد الضباط يقومون بحراستها .

فقال ناركوم يحدث الضابط :

– دعني اقدم لك مسيو بوارو ، لا بد انك سمعت به !

فتبادل الرجلان التحية ، وقال ناركوم :

– أرجو امدادنا بأكبر طاقة من النور ، فإن مسيو بوارو يريد القاء نظرة على الجثة ، كما أرجو أن تأمر رجالك بمحاصرة المركبة ومنع المسافرين من الاقتراب منها .

والتفت إلى ناظر المحطة وقال

– قل لسائق القطار سأصدر اليه تعليماتي بعد لحظات .

وفتح بوارو باب المركبة ودخل ، والقى على الجثة نظرة سريعة وقال :

– هذه جريمة قتل ، انظر الى وضع المسدس في يده ، انه مقلوب ، ولكن صبراً لحظة ، أريد ان اتأكد

وتناول المسدس من يد الجثة بسهولة ، ورفع فوهته الى أنفه ، ثم فتحه ونظر إلى مخزن الرصاصات وابتسم وقال يحدث ناركوم :

– تماماً كما توقعت ،لقد أطلقت من هذا المسدس رصاصة واحدة ، ولكنها لم تطلق اليوم ، او امس ، وانما اطلقت منذ يومين او اكثر ، الرائحة تقول ذلك يا مستر ناركوم . إنها جريمة قتل لا شك فيها . وقد أعد القاتل عدته بدقة تامة .

فحملق ناظر المحطة نحوه في ذهول وقال :

– ولكن يا سيدي ، إذن هناك قاتل، فأين ذهب ؟ ان القطار لم يتوقف في أية محطة منذ قيامه من لندن ، وعلى فرض ان القاتل استقل القطار من لندن فكيف غادره ؟

فقال ويب :

– لعله وثب من النافذة ، أو وقف على سلم المركبة حتى أبطأ القطار في سيره قبل وصوله إلى هذه المحطة ، ثم وثب إلى الأرض وتوارى في الحقول .

فقال ناظر المحطة :

– هراء ، عندما اكتشفنا الجثة . كان بابا المركبة مغلقين ، وكذلك كانت النافذتان ، انك رأيت ذلك بنفسك كما رأيته .

فقال ويب :

– هذا صحيح ، إذن اين ذهب القاتل ؟ وكيف ؟

وفي هذه الأثناء، كان بوارو يفحص الجثة ، فرفع رأسه فجأة وقال يحدث ناظر المحطة :

– أرجو أن تأمر رجالك بفحص جميع التذاكر .. اعني تذاكر الركاب الذين ما زالوا في القطار ، او الذين غادروه في هذه المحطة ، فإذا وجدوا تذكرة لم تثقب في محطة لندن عند الدخول فليحجزوا صاحبها .. وأنا شخصياً سأقوم بفحص تذاكر القادمين إلى هذه المحطة .. وفي الوقت نفسه ، أرجوك الاتصال بجميع المحطات بين هنا ولندن ، لمعرفة ما إذا كان هناك عامل إشارة آخر غير عامل الاشارة في محطة (فوريست هيل) فقد لاحظ اظلام هذه المركبة أثناء مرور القطار بمحطته .

وقد تم تنفيذ كل ذلك على وجه السرعة ، وظهر ان جميع التذاكر قد ثقبت في محطة لندن لدى دخول الركاب . وان عمال الاشارة في جميع المحطات ، فيما عدا (فوريست) لم يلاحظوا إظلام أية مركبة من المركبات لدى مرور القطار بمحطاتهم .

فقال بوارو :

– هذا يضيق نطاق البحث يا مستر ناركوم ، إذ يستدل منه أن نور المركبة قد أطفىء في الطريق بين محطتي (اوك بارك) و فوريست هيل) .

ثم التفت إلى ضابط البوليس المحلي وقال :

– أريد منك معروفاً . ضع بعض رجالك في هذه المركبة ودع القطار يواصل رحلته .. ان المحطة التالية هي محطة (نوروود) .. وأعتقد ان بها تحويلة . فمن الممكن فصل هذه المركبة هنالك وتركها على القضبان الجانبية ، تحت حراسة رجالك إلى أن الحق بكم انا ومستر ناركوم .

– حسناً يا سيدي ، هل هناك تعليمات أخرى ؟

– نعم، دع ناظر محطة (نوروود) يرسل الينا عربة ترولي مزودة بمصابيح كشافة ، فانني اريد ارتياد الطريق من هنا إلى محطة (اوك بارق) ، فـإذا كان أحد قد غادر القطار في هذا الطريق ، فإننا لا بد أن نجد آثاره واضحة فوق الثلوج التي تغطي الأرض .

- ٢ -

بعد نحو عشرون دقيقة ، جاءت عربة الترولي ، يقودهـا إثنان من عمال محطة (نوروود) .. ونزلاء على ارادة (تاركوم) ، أبرق ناظر المحطة إلى محطة لندن لايقاف جميع القطارات لمدة نصف ساعة ، لمصلحة التحقيق الذي يقوم به مفتش سكتلنديرد .

ثم استقـل بوارو وتاركوم عربة الـترولي التي انطلقت بها على شريط السكة الحديدية في اتجـاه أوك بارك ، والمصابيح القوية تكشف الطريق أمامهـا .

كان هناك أربعة خطوط ، خطان فرعيان يربطان لندن بضواحيها ذهاباً وإياباً ، وخطان رئيسيان .

وكانت الخطوط الأربعة تتألق تحت ضوء المصابيح الكاشفة فلم ير بوارو وتاركوم بينها أي أثر لأقدام .

قال المفتش في نهاية الرحلة :

— مما لا شك فيه أن القاتل لم يطأ هذه الطريق بقدمه .

وأمر العاملين بالعودة بالترولي واستطرد قائلاً :

- هل لك رأي آخر يا مسيو بوارو ؟

— كلا . ولكن مما لا شك فيه أيضاً انه غادر القطار في مكان ما ، بطريقة

ما ، وإلا لوجدناه في المركبة .

– إن المسألة هي : متى غادر القطار ؟ وكيف غادره ؟ إننا نعلم من أقوال الركاب أن القطار لم يتوقف لحظة واحدة بين محطتي لندن وايرلي ، ونعلم أن جميع المركبات كانت مضاءة ، إلى ان مر القطار بمحطة (أوك بارك) ..

وأن أحداً لم يسمع صوت طلق ناري ، وان القاتل لم ينتقل إلى مركبة أخرى ، وأن الممر كان غاصاً بالركاب ، ولو أنه غادر المركبة لاضطر الركاب المحتشدون في الممر ، أن يفسحوا له طريقاً ، وهو ما لم يحدث ..

وقد أسفرت عملية البحث التي قمنا بها الآن ، عن عدم وجود أي أثر على الثلوج ، يدل على ان أحداً قد غادر القطار أثناء سيره في المنطقة التي نعتقد أن الجريمة حدثت فيها .

وفي أول محطة توقف فيها القطار ، وهي محطة ايرلي ، كانت نافذتا المركبة مغلقتين وكذلك كان باباها .. ولا أثر للقاتل .

فكيف تفسر هذا اللغز أيها الصديق ؟ هل أنت واثق تماماً من أن الحادث ليس انتحاراً ؟

فابتسم بوارو وأجاب :

– يا عزيزي مستر ناركوم .. إن وضع المسدس في يد القتيل يقطع الشك باليقين في هذا الصدد ، أضف الى ذلك أنه لا يوجد أثر لدخان البارود على جبين اللورد .

وأن الرجل الذي يريد الانتحار لا يطلق الرصاص بين عينيه . وإنما يطلقه على صدغه او سقف فمه . لأن .

وكف عن الكلام فجأة ، ثم القى بيده على كتف أحد الرجلين اللذين يقودان عربة الترولي وقال :

- عد بنا .

فأوقف الرجلان العربة ، ثم انطلقا بها في الاتجاه المضاد .. إلى ان أمرهما بوارو مرة اخرى بالتوقف .

وتوقفت العربة على مقربة من محطة (سيدنهام) .

كان بوارو طول الوقت يتفحص الطريق الذي يتألق في ضوء المصابيح الكاشفة .

ولم يلبث أن وثب من العربة ، وسار بضع خطوات ، ثم انحنى والتقط شيئاً ، كان بين القضبان ، ونظر اليه بامعان ، ثم طوى يده عليه .

كان ذلك الشيء هو مفتاح من معدن لامع ، طوله نحو سبعة سنتيمترات ، من نوع المفاتيح التي تستخدم في فتح أبواب مركبات السكك الحديدية .

كانت نظرة واحدة الى المفتاح تدل على انه جديد .

قال بوارو وهو يبسط يده بالمفتاح :

- مهما يكن من أمر القاتل ، فانه غادر القطار في هذه البقعة .. فسقط منه المفتاح .. أو لعله القى به على الأرض ليتخلص منه . بعد أن استخدمه في غلق باب المركبة .

ومع ذلك فانه لا توجد على الأرض آثار أقدام .

ولكن هناك شيء مؤكد ، هو أن المكان الذي وجدت فيه المفتاح ، بين القضبان ، يدل على أن القاتل قد غادر القطار من الجانب الآخر .. أي الجانب الذي لا يكون بمحاذاة الرصيف ، عندما يتوقف القطار في المحطات .

فصاح ناركوم قائلاً :

- يا لها من فكرة جنونية !! لو أن قطاراً آخر مر على القضبان

المجاورة لمزقه ارباً .. خاصة وان القطارات تسير في هذه المنطقة باقصى سرعتها .. ولا تبطىء إلا عندما تقترب من (كرويدن) .

فقال بوارو وهو يتأمل المفتاح :

– نعم .. ثم ان قوة الامتصاص تكون على أشدها بين قطارين مسرعين ..

فاذا تواجد إنسان بين القطارين ، فان عجلات أحدهما تلتهمـــه في غمضة عين . وما دام لم تكن هناك قطارات اخرى على القضبان المجاورة

ثم قطب حاجبيه فجأة وقال :

– أظن اننا توصلنا الى مثل ما يمكن التوصـــل اليه يا مستر ثاركوم ، ويحسن بنا الآن ان نعود الى محطة توروود ، لكي أعيد فحص المركبة والجثة .

– هل طرأت لك فكرة جديدة ؟

– بل عدة أفكار .. ولكنها جميعاً ، قد لا تسفر عن شيء ، بعد نصف ساعة ..

– ماذا تعني ؟

– إنني سأغادر هذه العربة ، في محطة (سيدنهام) لكي أتصـــل تليفونياً بمحطة لندن . فثمة بعض أمور أريد الاستفسار عنها . وسوف استأجر إحدى السيارات لألحق بك في (نوروود) بعد ساعة ..

أرجو ألا تدع أحداً يدخل المركبـــة ، أو يعبث بالجثة ، قبل أن أصل ..

ومسألة أخرى . !. أدري هل خانتني الذاكرة أم لا ؟. ولكن اليس اللورد ستافورنيل هذا هو صاحب المغامرة المشهورة مع الراقصة الفرنسية فيفي دي لابار التي أثارت ضجة كبيرة في لندن العام الماضي ؟

فأجاب ناركوم :

- نعم ، هو نفس الشخص ، لقد كان طول حياته إنساناً فاسداً لا أخلاق له ، ولم تكن الآنسة فيفي خيراً منه ، فانها ما كادت تظفر بالشهرة وترى رجالاً من أمثال ستافورنيل يتهالكون عليهـــا ، ويخطبون ودها ، حتى نبذت زوجها ، وقد أخطأ زوجها حين وقف موقف المتفرج بدلاً من أن يضرب اللورد ويحطم ضلوعه .

فقد أقدم اللورد بعد ذلك على لعبة قـــذرة ، أرغمت الزوج الفرنسي التعس على مغادرة البلاد ، وذلك بأن أوعز الى المتاجر التي تتعامل فيفي معها بمطالبة الزوج بديون زوجته ، ولما كان الرجل فقيراً رقيق الحال ، فانه اضطر الى مغادرة البلاد فراراً من الدائنين .

وقد أثار هذا الحادث ضجة كبيرة في ذلك الوقت ، وعلى الرغم من ان القصة لم تنشر في الصحف إلا ان الفضيحة كانت من الضخامة بحيث اضطرت زوجة اللورد ستافورنيل الى هجرة ، ورفضت الاقامة ساعة أخرى مع رجل مثله .

- آه . إذن فهو متزوج ؟

- نعم ، وزوجته من أجمل نساء انجلترا .. ولم يكن قد مر على زواجهما اكثر من عام عندما حدثت فضيحة (فيفي) . وقد كان وراء قصة زواجه لعبة أخرى من ألاعيبه القذرة ، اضطرت المرأة المسكينة الى الاقتران ؟

- هل اقترنت به على الرغم منها ؟

- نعم .. كانت أصلاً مخطوبة لضابط شاب يعمل في الهند ، وكان والدها ايضاً ضابطاً في الجيش . ولكنه أفقر من فأر الكنيسة ، وقد أدمن الشراب والقمار والمراهنات ، وكان فظاً غليظ القلب ، وأنانياً إلى أبعد حد .

وقد نفرت ابنته من اللورد ستافورنيل حين وقع بصرها عليه لأول مرة ، وكانت تعرف الكثير عن مباذله ونزواته وسوء خلقه ، فرفضت ان تستقبله .

ولهذا قرر الاقتران بها لكي يذلها ويحطم كبرياءها .. فأوقع أباها في براثنه . وأقرضه النقود بغير حساب ، واستكتبه صكوكاً بمبالغ جسيمة خسرها معه في القمار .. إلى أن غرق الكولونيل العجوز في الديون ، واستحال عليه السداد .

وهنا بدأ اللورد يطالب بنقوده ، ثم وافق أخيراً على النزول عنها إذا رضيت به ابنة الكولونيل زوجاً لها . وذهب الرجلان الى الابنة المسكينة كذئبين جائعين واستعرضا الموقف أمامها ..

إن أباها معرض لفضيحة ستعصف به عصفاً .. إنه سيطرد من الجيش ومن سائر المنتديات ، بل ومن المجتمع المحترم كله .. وسيقضي بقية حياته في فقر مدقع ما لم تتقدم هي لانقاذه بالموافقة على الاقتران باللورد .

وما زال الاثنان يضربان على هذا الوتر حتى اضطرت المسكينة في النهاية إلى الموافقة .

وتم الزواج ..

ولكن حياتها صارت بعد ذلك جحيماً لا يطاق .. لأن اللورد لم يكن يعبأ بها او يقيم لشعورها وزناً .

لقد اقترن بها لمجرد الرغبة في الانتقام منها وإذلالها .. ويقال انهما ما كادا يعودان من رحلة شهر العسل حتى بدأ يسومها العذاب .

فقال بوارو بلهجة الرثاء :

– مسكينة !!! وماذا حدث لخطيبها الأول .. ذلك الضابط الشاب الذي كان في الهند خلال هذه الأحداث ؟

– لقد جن جنونه عندما علم بما حدث .. أقسم ان يقتل ستافورنيل .. ولكنه هدأ مع مرور الوقت ، ورضخ للأمر الواقع .. إنه يدعى الكابتن كروفورد ، وقد علمت انه عاد الى انجلترا مؤخراً .. وانه ما زال يحب الليدي بجنون . وبلا أمل .

– ولماذا بلا أمل ؟ ان سلوك اللورد يهيىء لزوجته أكثر من فرصة لطلب الطلاق .

– هذا لا شك فيه .. وليس في انجلترا قاض واحد لا يمنحها الطلاق إذا هي طلبته .. ولكن الليدي امرأة متدينة لا تعترف بالطلاق ولا توجد أية قوة تستطيع إقناعها بالاقتران بالكابتن كروفورد طالما ان زوجها الأول على قيد الحياة .

– آه .. إذن فان زوج فيفي ليس الشخص الوحيد الذي يحقد على اللورد ويتمنى هلاكه . هل للورد أعداء آخرون ؟

– هنالك عشرات . انه كسب عداوة كل شخص اتصل به . ولا يوجد ، فيما أعلم ، سوى شخص واحد يذكره بالخير .

– ومن يكون هذا الشخص ؟

– مسز برينكويرث . أرملة شقيقة الأصغر ، الذي كان بدوره رجلا متلافاً ، وقد تركها غارقة في الديون إلى أذنيها ، دون أي إيراد تنفق منه على نفسها وطفلها الذي كان وقتئذ في الخامسة من عمره ، وكان ستافورنيل يميل اليها ، فخف الى نجدتها ، ودفع كل ديونها ورصد لنفقاتها مبلغاً سنوياً لا بأس به ، وأنفق على تعليم ابنها ، ولما كبر الابن ، ألحقه بكلية ايتون ، وإذا كانت في ستافورنيل بقية من خير ، فان الفضل في ذلك يرجع إلى هذا الشاب ، فقد كان ستافورنيل يحبه من كل قلبه ، ربما لأنه لم يرزق ولداً من صلبه ، ولكن صبراً ، لقد أصبح هذا الشاب هو الوريث الوحيد لثروة اللورد .. يا إلهي !! وكيف لم أفطن الى ذلك .. حقاً انها ضربة حظ بالنسبة الى هذا الشاب .

فقال بوارو :

– نعم .. انها ضربة حظ بالنسبة اليه ، وكذلك بالنسبة الى الليدي ستافورنيل .. والكابتن كروفورد . ولكنها ضربة قاصمة لمسز برينكويرث ومدموازيل فيفي دي لابار .

– معنى ذلك انه كان هناك ثلاثة رجال على الأقل يهمهم ان يموت اللورد ، أولهم زوج الراقصة فيفي، الذي يحقد عليه لأنه حطم حياته الزوجية ، والثاني هو الكابتن كروفورد ، الذي يريد الاقتران بالليدي ، والثالث هو ابن أخيه الشاب ، الذي يرث كل ثرواته . وانا لا أستبعد ان يكون أحد هؤلاء الثلاثة هو القاتل .

فقال بوارو :

– ها نحن قد وصلنا الى (سيدنهام) .. الى اللقاء يا مستر ناركوم، سألحق بك في محطة نوروود في أسرع وقت ممكن .. وبهذه المناسبة .

– نعم .

– أرجو ان تستفسر من محطة لوليفيـــل ، وهي آخر محطة في سكك حديد ضواحي لندن ، عما اذا كان أحد الركاب قد نسي تابوتاً أو منضـــدة خشبية من النوع الذي يستخدم في كي الملابس .

- ٣ -

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة عندما وصل بوارو إلى محطة نوروود .

كان هادئاً ثابت الجنـــان كالعهد به دائماً ، وقد وجد المفتش ناركوم في انتظاره في غرفة صغيرة خاصة وضعها ناظر المحطة تحت تصرفه .

وقد وثب ناركوم من مقعده حالما رأى بوارو وهتف :

— كم أنا سعيد بقدمك .. كنت انتظرك على أحر من الجمر .. فهناك أشياء كثيرة أريد أن أحدثك عنها ...

أولها اننا تحققنا بما لا يدع سبيلاً للشك من ان القتيل هو اللورد ستافورنيل.

وثانيها اننا أبرقنا إلى اقاربه لنخطرهم بمصرعه ، فأجابت الليـــدي ستافورنيل ومسز برينكويرت بانهما في طريقهما إلى هنا ، وأنا اتوقع وصولهما بين لحظة وأخرى .

بيد ان النبأ الذي قد يهمه أكثر من سواه ، هو ان زوج الراقصة فيفي موجود حالياً في لندن . فقد ذكرت مسز برينكويرث في برقيتها انها رأته في لندن صباح اليوم .

فصاح بوارو :

— أحقاً ! يخيـــل إلى انها امرأة على جانب عظيم من الذكاء .. ولكن حدثني ، هل وجدت شيئاً في محطة (لوليفيل) ؟

– نعم يا مسيو بوارو .. والواقع انني لا أعرف هـل أنت عبقري أم ساحر . . مـاذا جعلك تطلب الاستفسار من هذه المحطـة عن شيء مفقود ؟

– ماذا وجدوا ؟ تابوتاً او منضدة لكي الملابس ؟

– لا هذا ولا ذاك ، ولكنهم وجدوا مائدة خشبيـة من النوع الذي تستخدمه السيدات في تفصيل الملابس ، أعني مائدة يمكن طيها ونقلها بسهولة ، قد وضعوها في مخزن الأشياء المفقودة لأنهم لا يعرفون صاحبها .. لقد وجدوها في ..

فقاطعه بوارو قائلاً :

– أظن انني أعرف اين وجدوها . انهم وجدوها في إحدى مركبات الدرجات الأولى في القطار الذي يغادر لندن في الساعة الخامسة و١٨ دقيقة ، ويصل إلى لوليفيل في الساعة الخامسة و٤٣ دقيقة ..

كلا .. أرجوك الا تسأل الآن ، هلم بنا إلى المركبة لنلقي نظرة على الجثة ، ان اللغز الذي يحيرني ، هو ماذا كان اللورد ستافورنيل يفعل في هذا القطار ، في الوقت الذي كان ينبغي فيه ان يكون في الجناح الخاص ، بفندق (ريتز) . كذلك يهمني ان اعرف كيف استطاع الشاب ذو الشارب الأسود الصغير استدراج اللورد إلى ركوب ذلك القطار .

– الشاب ذو الشارب الأسود الصغير ؟ ماذ تعني بحق السماء ؟

– انك تحدثت عن ثلاثة رجال يحتمل ان يكون أحدهم هو القاتل . ولكن القاتل الحقيقي هو رجل رابع .. هو ذلك الشاب ذو الشارب الأسود الصغير .

ان حديثي التليفوني مع محطة لندن قد كشف لي عن أشياء كثيرة . منها ان اللورد ستافورنيل حجز تلك المركبة في ذلك القطار بالذات في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم بواسطة التليفون ، وانه وصل الى المحطة منفرداً وغضب

غضباً شديداً حين وجد ان المركبة ليست نظيفة فانتظر على الرصيف حتى تم كنسها وتنظيفها .

وقال عامل النظافـــة انه عندما فرغ من مهمته وجد اللورد يتحدث ويضحك مع شاب صغير الجسم وله شارب أسود ، يحمل في يده معطفاً من الجلد ، ولما كان الرصيف مزدحماً بالمسافرين ، فان أحداً لم يبد اهتماماً خاصاً بذلك الشاب ، فلم يعرف عامل النظافة أين ذهب يا مستر ناركوم بل وأعرف كذلك ماذا كان في ذلك المعطف . كان فيه مسدس هواء ، ومطرقة ملفوفة بقطعة من القماش استخدمت في تحطيم نجفة الكهرباء دون ان تحدث صوتاً . وقد ركب الشاب ذو الشارب الأسود مع اللورد في نفس المركبة .

– هب ان ذلك صحيح . فكيف خرج من المركبة ؟ والى أين ذهب ؟ وماذا كان مصير معطف الجلد ؟

– أرجو ان اتمكن من الاجابة على هذه الأسئلة قبل انقضاء هذه الليلة يا مستر ناركوم ..

أما الآن ، فدعنا نلقي نظرة على الجثة ، فانني أريد ان اقطع الشك باليقين في أمر يقلقني .

وكانت المركبـــة قد حولت إلى خط جانبي ، ووضعت تحت حراسة البوليس .

وعلى ضوء المصابيح الكشافة القوية التي أعدها ناظر المحطة استطـاع بوارو ان يرى شيئاً فاته عندما فحص المركبة بسرعة في المرة الأولى . او لعله لاحظه ولم يعقب عليه .

رأى في البساط الأحمر الذي يغطي ارض المركبة بقعة حمراء داكنــة في حجم الطبق ، أمام المقعد الذي يقع في مواجهة مقعد القتيل .

قال وهو يشير اليها :

– أظن ان هذه البقعة دليل كاف على ان المركبة كان بها شخص آخر عدا

اللورد ستافرونيل .. وهذا الشخص هو بغير شك ذاك الشاب ذو الشارب الأسود الصغير .

اذا وضعت يدك على هذه البقعة فسنجد انها رطبة، من اثر الثلج الذي علق بحذاء شخص جلس على هذا المقعد بالذات .

أنظر .

ومر بمنديله على البقعة ثم بسط المنديل فاذا قد تلوث بالوحل .

فقال المفتش :

– ولكن يا صديقي العزيز ، من الممكن في يوم كهذا ، ان تكون هـــذه البقعة قد حدثت قبل سفر اللورد ، إذ لا يعقل ان يكون اللورد هو الشخص الوحيد الذي دخل هذه المركبة منذ الصباح .

– المفروض انه الشخص الوحيد الذي دخلها بعد كنسها وتنظيفها ، ولقد كنست المركبة ونظفت تنفيذاً لأوامره قبل ان يتحرك القطار .

اننـــا الآن قد تجاوزنا مرحلة التخمين ، وأصبحنا على يقين من ان شخصاً آخر كان موجوداً مع اللورد في هذه المركبة ، وان اللورد كان يعرف هذا الشخص ويرتاح اليه ولا يجد ضرورة لمجاملته .

– وكيف عرفت ذلك ؟

– من هذه الصحيفة ، لقد كان اللورد يقرأ هذه الصحيفة عندما اطلقت عليه الرصاصة .

أنظر الى هذا الثقب الذي في طرف الصحيفة ..

عندما يدعو الانسان شخصاً آخر للسفر معه في المركبة التي استأجرها خصيصاً لنفسه - وهذا ما فعله اللورد دون شك ، ولولا ذلك ما جرؤ الشاب على دخول المركبة أقول ، عندما يدعو الانسان شخصاً آخر للسفر معه في مركبته الخاصة ، ثم يشرع في قراءة الصحف بدلاً من ان يجامل ذلك الشخص ويعامله كضيف ، فذلك دليل على ان الصلة بين الاثنين قديمة ووثيقة إلى الحد

الذي يجعل اللورد يغض الطرف عن مجاملة ضيفه ، دون أن يجد الضيف في ذلك مهانة له .

والآن . انظر إلى الصحيفة كيف سقطت بين قدمي اللورد .. انها مقوسة حول ساقه اليسرى .

وحتى لو لم نجد المفتاح .. لكان وضع الصحيفة على هذا النحو كافيـاً لارشادنا إلى الجهة التي خرج منها القاتل .

– كيف ؟

– إن الصحيفة حين سقطت من يد القتيل ، ما كانت لتتخـذ هذا الوضع لولا حدوث تيار هوائي قوي ، وقد جاء هذا التيار من فتح الباب الذي يقع على يمين القتيل ، وكان من القوة بحيث جعل الصحيفة تلتف حول الساق .

وهذا دليل على ان الباب فتح أثناء سير القطار ومن ناحية أخرى فاننا لا نرى أثراً للبارود على جبين القتيل ، ولا رائحة للبارود في فوهة المسدس ،

رغم انه مسدس اميركي عادي عيار ٣٨ ، وكل هذا دليل على أننا أمام قاتل هاو ، لا مجرم محترف . قاتل من السذاجة بحيث أتوقع الانتهاء من هذه القضية قبل انقضاء هذه الليلة .

واني لاتساءل ، لماذا لم يطلق هذا المسدس في صباح اليوم مثلاً لكي تظـل فوهته محتفظة برائحة البارود؟

ليس من الضروري أن يكون الإنسان على جانب عظيم من الذكاء لـكي يدرك على الفور ان الجريمة ارتكبت بمسوس هواء وان اهتمام القاتل بارتكاب جريمة دون أن يحدث جلبة ، كان أكثر من اهتمامه بارتكاب الجريمة بحكـمة وتعقـل .

انني أعتقد انه لا يوجد في لندن كلها أكثر من ثلاثة محلات لبيع مسدسات الهواء ، ولا أظن ان هذه المحلات تبيع اكثر من مسدسين في العام .. ولكنها إذا كانت قد باعت أو أصلحت مسدساً خلال الشهور الستة الأخيرة ، فان

صديقي (هاستنجز) سيعرف ذلك وسيخبرنا .. انني اتصلت به . وطلبت اليه القيام ببعض التحريات ..

والآن يا عزيزي مستر ناركوم ، اما وقد ثبت لنا ان القاتل انسان ساذج قصير النظر ، فإنني لا استبعد أن يكون قد غفل عن تفتيش ضحيته ، فدعنا نحن نقوم بهذه المهمة .

قال ذلك وانحنى فوق القتيل ، وراح يفتش ثيابه ، وما لبث أن أخرج من أحد جيوبه الداخلية دفتر مذكرات ،وثلاث رسائل بخط نسائي ، ولكن رسالة واحدة فقط من بين هذه الرسائل هي التي لفتت نظره ، وأثارت اهتمامه ، فراح يفحصها بعناية .

كانت مكتوبة على ورقة وردية اللون ، وغلافها يحمل خاتم البريد (كريدن) ، بتاريخ ٩ ديسمبر ، الساعة الثالثة والنصف مساء ، وعبارة (بالبريد المستعجل) .

- ٤ -

قرأ بوارو في الرسالة ما يلي :

« أيها الغبي الكبير .. ان الحفلة التنكرية موعدها الليلة لا غـداً . لقد اكتشفت ذلك فجأة ، فتعال بسرعة ، بالقطار الذي يغادر لندن في الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ وحذار من التأخير ، لأنني سأكون في انتظارك بالمحطة عند وصولك ولا تهتم بالثوب التنكري ، فعندي لك ثوب ، وقـد دبرت لك مقابلة مع شخص سوف تضحك كثيراً عندما تراه ..

احرق هذه الرسالة .

فيفي

ملحوظة :

« اني جرحت اصبعي ، وقد استكتبت وصيفتي هذه الرسالة ، ولذلك اطلب اليك ان تحرقها ولا تحتفظ بها .

قال بوارو وهو يقدم الرسالة الى المفتش تاركوم :

— هذه الرسالة توضح كل شيء وتفسر لنا لماذا سافر اللورد بهذا القطار ، انها فخ لاستدراجه .

فصاح تاركوم

— فخ نصبته فيفي ! يا إلهي ! لقد خطر لي منذ البداية ان لها او لزوجها

اصبعاً في هذه الجريمة .

فقال بوارو وهو يبتسم :

ـ أحقاً ؟ إن ذلك لم يخطر لي .. ولا يخطر لي الآن ..

فنظر اليه ناركوم في ذهول ، وهم بأن يقول شيئاً ، ولكنه لم يفعل ، فقد أقبل عليه أحد رجال الشرطة في تلك اللحظة وقال له :

ـ جاءت سيدتان ورجلان وهم يطلبون التصريح برؤية الجثة للتعرف على صاحبها ، ها هي اسماؤهم في هذه الورقة .

فتناول ناركوم الورقة وقرأ الأسماء بصوت مسموع :

الليدي ستافورنيل ،
الكولونيل مرسشيسون ،
مسز برينكويرث ،
الكابتن كروفورد .

ونظر إلى بوارو متسائلا فقال هذا :

ـ هل تعرف من أين قدموا ؟

ـ نعم ، عرفت ذلك عندما أبرقت اليهم بنبأ مصرع اللورد ستافورنيل ، كانت الليدي وأبوها قد ذهبا إلى فندق هايدور منذ أسبوع لقضاء اجازة عيد الميلاد ، ومن المصادفات الغريبة أن مسز برينكويرث وكابتن كروفورد قد ذهبا ايضاً إلى نفس الفندق لنفس الغرض منذ يومين .. ولا شك انها كانت مصادفة غير سارة بالنسبة إلى السيدتين ، لأن العلاقة بينهما ليست على ما يرام .

فقال بوارو :

ـ هذا امر طبيعي ، فاحداهما تمقت القتيل والأخرى تحبه ..

ـ انني اريد مقابلة هاتين السيدتين ، كذلك الرجلين ، وبعد ذلك ..

وكف عن الكلام ، ونظر إلى النجفة المهشمة ، وقطب حاجبيه ، وحك

ذقنه بيده ، واستغرق في التفكير ..

فقال ناركوم :

– هل ثمة مشكلة تشغل بالك ، هل استطيع مساعدتك ، انني بارع في حل المشكلات .

– احقاً ؟ إذن اخبرني .. إذا كانت هناك مائدة خشبية على طرفها جسم يتراوح ثقله بين ٥٠ و ٦٠ كيلوجراماً وتحتها قوة ماصة تبلغ في المتوسط كيلوجراماً للبوصة المربعة ، فما هي القوة اللازمة لجذب هذه المائدة مسافة مترين ؟

إذا وجدت جواب هذه المسألة ، فإنك ستضع يدك على القاتل ، ومتى وضعت يدك عليه ، فإنك ستجد إنه ليس كأي رجل رأيته او سمعت عنه طول حياتك .

فحملق ناركوم في وجهه ولم يفهم شيئاً .

وابتسم بوارو ابتسامة غامضة وقال :

– دعهم يدخلون ..

وتوارى في احد الأركان بعيداً عن دائرة الضوء .

ودخل الموكب الحزين إلى مسرح المأساة ، تتقدمه الليدي ستافورنيل بقامتها الطويلة الرشيقة ، ومحياها الجميل ، وعلى وجهها من دلائل الهدوء والسكينة ما يبدو على وجه انسان تعذب طويلاً ، ثم واتته ساعة الخلاص أخيراً .

وتبعها الكابتن كروفورد بوجهه الشاحب ، وعينيه الزائغتين ، وشاربه الأسود الصغير .

ثم مسز برينكويرث بقامتها القصيرة ، وجسمها الضئيل ، ووجهها الملائكي الصغير ، وعينيها الحمراوين من الحزن والبكاء

واخيراً دخل الكولونيل مرشيسون ، بكتفيه العريضين وعنقه الغليظ .

ووقف بوارو في ركنه ساكناً صامتاً يرى ويسمع ويرقب ولا ينطق بكلمة واخيراً ، القى بيده على كتف المفتش تاركوم وقال له في همس :

- احجزهم جميعاً هنا بأية وسيلة ، لمدة خمس واربعين دقيقة ، قلت لك ان القاتل إنسان ساذج ، وان سذاجته واخطاءه ستساعد على إنهاء التحقيق في هذه القضية الليلة .

سأعود اليك بعد ٤٥ دقيقة وسيكون القاتل معي هنا ..

قال ذلك ودار على عقبيه ، وغادر المركبة بسرعة دون ان يتيح لتاركوم فرصة للكلام .

- تمت -